السياق والأنساق

"ما السياق؟ ما النسق؟"

بحث مقدم من الطالب/

محمد عبد الكريم حسين الحميدي

بإشراف الدكتور/

عصام فاروق إمام

جامعة المدينة العالمية

بحث تكميلي هيكل (ج)

قسم اللغة العربية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

فاتحة الكتاب

يَنْطَلِقُ الكِتَابُ لِمُقَارَبَةِ مُصْطَلَحَيِّ "السِّيَاقِ" وَ "النَّسَقِ" فِيْ بُعْدِهِمَا التَّارِيْخِيِّ وَالثَّقَافِيِّ، مُسْتَفِيْدَاً مِنْ المَادَّةِ القَامُوْسِيَّةِ المُعْجَمِيَّةِ أوَّلَاً، وَمِنْ المَأْثُوْرِ الثَّقَافِيِّ الاجْتِمَاعِيِّ المُكَوِّنِ لِذِهْنِيَّتِنَا العَرَبِيَّةِ الإسْلَامِيَّةِ ثَانِيَاً، وَمِنْ عُلُوْمِ اللُّغَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ قَدِيْمِهَا وَحَدِيْثِهَا ثَالِثَاً، وَمِنْ القِرَاءَةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلوَاقِعِ العَرَبِيِّ الإسْلَامِيِّ رَابِعَاً.

يَطْرَحُ الكِتَابَ أسْئِلَةً عَلَى الوَاقِعِ الثَّقَافِيِّ العَرَبِيِّ الإسْلَامِيِّ، مُتَّخِذَاً مِنْ اللُّغَةِ وَعُلُوْمِهَا نُقْطَةَ البِدْءِ، مُسْتَرْشِدَاً بِهَدْيِ النَّظَرِيَّةِ السِّيَاقِيَّةِ؛ لِتَحْقِيْقِ القِرَاءَةِ الوَاعِيَةِ لِلوَاقِعِ المُعَاشِ.

هَلْ الأزْمَةَ فِيْ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ الرَّاهِنَةِ أزْمَةُ مُصْطَلَحٍ وَمَفْهُوْمٍ، أمْ هِيَ أزْمَةٌ مُفْتَعَلَةٌ، تُخْفِيْ وَرَاءَهَا أقْنِعَةً مِنْ الحَقِيْقَةِ الغَائِبَةِ، ثُمَّ كَيْفَ نَقْرَأُ وَاقِعَنَا فِيْ ظِلِّ المُتَغَيِّرَاتِ المُتَلَاحِقَةِ فِيْ الحَيَاةِ، بَلْ كَيْفَ نُؤَسِّسُ لأنْفُسِنَا القُدْرَةَ عَلَى قِرَاءَةِ المُتَغَيِّرَاتِ، فِيْ ظِلِّ التَّذَبْذُبِ فِيْ ثَقَافَتِنَا الحَالِيَّةِ، ألَمْ يَكُنْ مِنْ الأجْدَى الاعْتِمَادُ عَلَى الثَّوَابِتِ القِيَمِيَّةِ المُتَوَارَثَةِ؛ لِإصْلَاحِ الخَلَلِ فِيْ مَنْظُوْمَةِ المَفَاهِيْمِ وَالمُصْطَلَحَاتِ الَّتِيْ تَحْكُمُ حَيَوَاتِنَا؟

هَلْ هِيَ أزْمَةٌ فِعْلِيَّةٌ حَقِيْقِيَّةٌ، أمْ هِيَ شَيْءٌ مِنْ التَّرَفِ الفِكْرِيِّ، لَا عَلَاقَةَ لَنَا بِهِ؟

الكَثِيْرُ مِنْ الأسْئِلَةِ يَطْرَحُهَا الكِتَابُ، وَيُحَاوِلُ الإجَابَةَ عَلَيْهَا، مُحَاوِلَاً تَقَصِّيْ الحَقِيْقَةِ الكَامِلَةِ وَرَاءَ الأحْدَاثِ وَالظَّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ فِيْ وَاقِعِنَا الرَّاهِنِ، فَكُلَّمَا اِسْتَطَعْنَا إدْرَاكَ الأسْبَابِ الحَقِيْقِيَّةِ وَرَاءَ نُشُوْءِ الظَّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ؛ اِمْتَلَكْنَا فَهْمَاً عَمِيْقَاً لِمَا هُوَ حَادِثٌ اليَوْمَ مِنْ تَوَافُقٍ أوْ اِخْتِلَافٍ حَوْلَ ظَاهِرَةٍ مَا، وَبِالتَّالِيِّ القُدْرَةَ عَلَى اِتِّخَاذِ مَوْقِفٍ إزَاءَهَا.

مَا يُنَاقِشُهُ الكِتَابُ وَيُحَاوِرُهُ؛ هُوَ سُلْطَةُ الثَّقَافَةِ عَلَى الفَرْدِ وَالأُمَّةِ، فَالأفعَالُ وَالأقْوَالُ تَخْضَعُ لِسُلْطَةٍ أعْلَى مِنْ سُلْطَةِ الفَرْدِ نَفْسِهِ، وَإنْ كَانَ هُوَ المُتَكَلِّمُ أوْ الفَاعِلُ، فَالسِّيَاقُ؛ أوْ مَا اُصْطُلِحَ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالمَقَامِ، عِنْدَ البَلَاغِيِّيْنَ، يَعْمَلُ عَلَى تَنْظِيْمِ السُّلُوْكِ وَالقَوْلِ فِيْ الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيَّةِ، بَلْ رُبَّمَا تَجَاوَزَهَا إلَى فِكْرِ الإنْسَانِ وَثَقَافَتِهِ؛ وَعَلَاقَاتِهِ بِالكَوْنِ وَالحَيَاةِ وَالمُحِيْطِ البِيْئِيِّ الَّذِيْ يَتَفَاعَلُ مَعَهُ، وَيَعِيْشُ فِيْ دَاخِلِهِ.

العَلَاقَةُ مُتَشَابِكَةٌ مُتَرَامِيَةُ الأطْرَافِ، لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مُعَيَّنٍ، أوْ جُزْئِيَّةٍ دُوْنَ أُخْرَى، فَكَأنَّ الإنْسَانَ قَدْ رُسِمَ طَرِيْقُ حَيَاتِهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ، وَمَا عَلَيْهِ إلاَّ أنْ يَأتِيَ، وَيُنَفِّذَ مَا خُطِّطَ لَهُ.

قَدْ تَبْدُو الصُّوْرَةُ قَاتِمَةً بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنَّهَا الحَقِيْقَةُ الثَّقَافِيَّةُ المَاثِلَةُ أمَامَ أعْيُنِنَا، وَلَوْ أرَدْنَا تَقْرِيْبَ الصُّوْرَةِ بِمِثَالٍ وَاقِعِيٍّ؛ لَقُلْنَا إنَّ اِبنَ النَّجَارِ، وُلِدَ لِيَكُوْنَ نَجَّارَاً، وَابنَ المُزَارِعِ، وُلِدَ لِيَكُوْنَ مُزَارِعَاً، وَهَكَذَا فِيْ بَقِيَّةِ الأمْثِلَةِ الَّتِيْ تَصْدُقُ عَلَى مِثَالِنَا.

إنَّ الصُّوْرَةَ المَرْسُوْمَةَ فِيْ غَايَةِ القَتَامَةِ، لَكِنَّهَا أيْضَاً تُقَابِلُ صُوْرَةً أكْثَرَ إشْرَاقَاً، فَابنُ النَّجَارِ أوْ المُزَارِعِ، لَا يَلْزَمُ أنْ يَكُوْنَ نَجَّارَاً أوْ مُزَارِعَاً مِثْلَ أبِيْهِ، بَلْ يَمْتَلِكُ قَدَرَهُ الخَاصَّ، مُعْتَمِدَاً عَلَى ذَكَائِهِ وَحِسِّهِ التَّأوِيْلِيِّ لِلظَّوَاهِرِ الثَّقَافِيَّةِ الرَّاهِنَةِ.

صُوْرَتَانِ رَسَمَهُمَا الكِتَابُ وَحَاوَرَهُمَا مِنْ خِلَالِ الذِّهْنِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَالتَّغَيُّرَاتِ الثَّقَافِيَّةِ الَّتِيْ طَرَأتْ عَلَيْهَا، مُنْذُ العَصْرِ الجَاهِلِيِّ، وَغَلَبَةِ القَبِيْلَةِ وَقِيَمِهَا، وُصُوْلَاً إلَى الإسْلَامِ، وَتَغَيُّرِ الكَثِيْرِ مِنْ القِيَمِ، فِيْ ظِلِّ التَّجَمُّعِ الأُمَمِيِّ المُخْتَلِفِ، فَالاِنْتِقَالُ مِنْ طَوْرِ الجَاهِلِيَّةِ إلَى طَوْرِ الإسْلَامِ، أوْجَدَتْ حَاجَةً مُلِحَّةً لِقِرَاءَةِ التُّرَاثِ، وَاِسْتِبْدَالِ الكَثِيْرِ مِنْ القِيَمِ المُنَافِيَةِ لِرُوْحِ الإسْلَامِ وَتَعَالِيْمِهِ.

النِّقَاشُ الدَّائِرُ بَيْنَ دَفَّتَيِّ الكِتَابِ، اِرْتَكَزَ عَلَى المُقَارَبَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَتَحْدِيْدَاً فِيْ الشِّقِّ السِّيَاقِيِّ مِنْهَا، وَلِذَا أفْرَدْنَا البَابَ الأوْلَ بِالحَدِيْثِ عَنْ السِّيَاقِ، فِيْ شَكْلِهِ القَامُوْسِيِّ، وَأضَفْنَا لَهُ مُفْرَدَةً مُتَّصِلَةً بِهِ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَنْظِيْمِ وَتَوْجِيْهِ دِلَالَتِهِ فِيْ الاِسْتِعْمَالِ، تِلْكَ المُفْرَدَةُ المُسَاعِدَةُ هِيَ مُفْرَدَةُ النَّسَقِ، فَمِنْ السِّيَاقِ وَالنَّسَقِ وَالحَدِيْثِ القَامُوْسِيِّ عَنْهُمَا تَكَوَّنَ البَابُ الأوْلُ.

بَعْدَ اِسْتِيْفَاءِ الحَدِيْثِ القَامُوْسِيِّ لِلسِّيَاقِ وَالنَّسَقِ، شَرَعْنَا فِيْ الدِّرَاسَةِ النَّظَرِيَّةِ لِلُّغَةِ عَلَى ضَوْءِ المَفَاهِيْمِ المُسْتَقَاةِ مِنْ القَامُوْسِ، فَجَاءَ البَابُ الثَّانِي مِنْ الكِتَابِ؛ لِيُؤَكِّدَ سُلْطَةَ اللُّغَةِ، وَهَيْمَنَتَهَا عَلَى الذِّهْنِيَّةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

قُسِّمَ البَابُ الثَانِيُ إِلَى ثَلَاثَةِ فُصُوْلٍ؛ حَيْثُ أَشَارَ الفَصْلُ الأَوْلُ إِلَى اِمْتِلَاكِ اللُّغَةِ كِيَانَاتٍ لَا مَرْئِيَّةٍ، تَجَمَّعَتْ فِيْ رَحِمِ اللُّغَةِ، وَأَنْتَجَتْ كِيَانَاً شُمُوْلِيَّاً، وَهَذَا مَا تَعَمَّقَ فِيْ الفَصْلِ الثَّانِي، وَتَأَكَّدَ عَبْرَ السُّلْطَةِ القَوِيَّةِ الَّتِيْ اِكْتَسَبَتْهَا اللُّغَةُ؛ جَرَّاءَ كَوْنِهَا سِيَاقَاً شُمُوْلِيَّاً، اِحْتَوَى عِدَّةَ أَنْسَاقٍ فِيْ دَاخِلِهَا.

أَمَّا فِيْ الفَصْلِ الثَالِثِ، فَتَمَتْ مُنَاقَشَةُ تَحَوُّلِ اللُّغَةِ إِلَى خِطَابٍ تَسَلُّطِيٍّ عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ؛ لِأَنَّهَا الحَامِلُ لِلثَقَافَةِ وَالفِكْرِ، فَبِصِفَتِهَا كِيَانَاً ثَقَافِيَّاً؛ اِمْتَلَكَتْ رَأْيَاً وَتَوَجُّهَاً وَغَايَةً، فَخِطَابُهَا خِطَابٌ شُمُوْلِيٌّ؛ اِسْتَمَدَّ شَرْعِيَّتَهُ مِنْ النَّسَقِ السَّائِدِ، وَهُوَ النَّسَقُ الدِّيْنِيُّ.

قُوْةُ الخِطَابِ الدِّيْنِيِّ اِنْتَقَلَتْ إِلَى اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الحَامِلُ لِلفِكْرِ وَالتَّعَالِيْمِ السَّمَاوِيَّةِ، فَسُلْطَةُ اللُّغَةِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ سُلْطَةِ الدِّيْنِ، وَكَمَا أَنَّ الدِّيْنَ يَعْمَلُ عَلَى الحَثِّ الدَّائِمِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا هُوَ مَرْغُوْبٌ، وَتَرْكِ مَا هُوَ غَيْرُ مَرْغُوْبٍ، فَكَذَلِكَ اللُّغَةُ، أَصْبَحَتْ تَقُوْمُ بِالأَدْوَارِ الدِّيْنِيَّةِ عِوَضَاً عَنْ الدِّيْنِ؛ مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ جَاءَتْ سُلْطَةُ اللُّغَةِ، وَقُوَّتُهَا القَاهِرَةُ.

محمد الحميدي

الباب الأول

يهدفُ هذا الفَصلُ إلى تِبيان مَعنى كَلمَتَي السياق والنسق معجمياً، دون التطرق إلى المباحث الحديثة، أو ما استجد من تغيرات دلالية على معنى الكلمتين.

بدايةً نشير إلى أن مبحث السياق، مبحثٌ قديمٌ؛ منذُ صدرِ الإسلام، وقد تَشَكَّل معناه بحسب اِستخدامه، فهناك المبحث اللغوي (١)، والمبحث البلاغي، والمبحث التفسيري، والمبحث الأصولي.

فالمبحث اللغوي أتى ليحدد معنى الكلمة الواحدة باعتبار السياق (٢) الذي ترد فيه، أو ما يمكن تسميته سياق النص (٣)، ولو وجد في النص محذوف ما، فيتم تقديره؛ لإتمام المعنى، والوصول إلى الدلالة (٤)، وهنا يبرز النوع الثاني من السياق؛ سياق الموقف، أو السياق الاجتماعي (٥) ، أو الحال (٦)، أو القرينة الدالة (٧).

ثم، إن كلمة السياق التبست بكلمة أخرى هي كلمة (السباق)، وباتت الكلمتان مترادفتين على نحوٍ ما (٨).

أما المبحث البلاغي (٩)، فاهتم اهتماماً بالغاً بالمقام (١٠)، أو الحال (١١)، إذ جاء في تعريف البلاغيين للبلاغة " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " (١٢)؛ والحال هنا: كل ما يحيط بالمتكلم، أو ما يُشار إليه بسياق الموقف (١٣).

ولهم كلمتهم المشهورة الواردة في بيتٍ للحطيئة (١٤):

تَحَنَّنْ عليَّ هَدَاكَ المَلِيْكُ   فإنَّ لِكُلِ مَقَامٍ مَقَالاً

حيث ذهبت مثلاً في قولهم (لكل مقام مقال، ولكل دهر رجال) (١٥).

عبارة لكل مقام مقال عند البلاغيين والأدباء والنقاد، تحدد مدى أهمية مراعاة السياق، أو المقام (١٦) في بيان دلالة العملية اللغوية (١٧)؛ وصولا إلى المعنى.

لقد كان المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد للشارع الحكيم (١٨)، مستفيدين من المقام، أو قرائن الحال (١٩)؛ كأسباب النزول (٢٠).

ومع هذا السَّبْق، فقد أكدوا على أهمية السِياق في فهم القرآن، وأنه لازم في التفسير (٢١)، كما شددوا على زمان ومكان النزول، وتم اعتبارهما جزءاً من السياق (٢٢).

الأصوليون هم علماء أصول الفقه أو الفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماما كبيراً، واعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد (٢٣)، وأول من أشار إلى السياق كان الشافعي (٢٤)، وعندما تطلق لفظة أصول، فالمراد منها الدليل "غالباً" (٢٥).

كذلك وجد علماء الأصول في المذهب الحنفي " أن الدلالة تأتي من جهة اللغة عن طريق المعنى بدلالة سياق الكلام ومقصوده " (٢٦)، وقد " حدد علماء الأصول القرائن اللفظية وغير اللفظية التي يمكن بواسطتها (تخصيص الدلالة) وقصدوا بالقرائن اللفظية ما يسمى اليوم بـــ (السياق اللغوي) " (٢٧)، ورأوا أن من وسائل تخصيص الدلالة (غير اللفظية): السياق الثقافي، والاجتماعي، والأعراف والعادات، وكل ما يتضمنه السياق العام الذي تجري فيه اللغة تواصلاً (٢٨).

في العصر الحاضر، أو الحديث، فإننا نستطيع القول ليس فقط بأهمية السياق، بل بكثرة النظريات التي استلهمته (٢٩) بداية من دي سوسير (٣٠)، وصولاً إلى جاكبسون (٣١)، ثم المرحلة الأهم مع فيرث، وتلامذته (٣٢)، وظهور المدرسة الأمريكية بريادة بلومفيلد (٣٣).

إن الهدف الأساس من البحث هو الإجابة على سؤالٍ ذي فرعين؛ ما السياق؟ ما النسق؟ وهو ما سنبحثه في الأوراق القادمة على مستوى المعجم القاموسي.

الفصل الأول

السِّيَاق

١-١: لعل أول ما يلفت الانتباه، كثرة المعاني القاموسية، لكلمة السياق، ولجذرها اللغوي (سوق)، وتجدر الإشارة إلى نوعين من المعاني (٣٤)؛ أولاهما: المعنى الحقيقي؛ حيث ترتبط الكلمة بالواقع الحسي، مبتعدة عن المجردات والمعنويات.

وثانيهما: المعنى التجريدي؛ المعنوي؛ إذ تنفك الكلمة عن واقعها الحسي، وتتجه صوب الذهن، والحمولات الثقافية التي تكونت عنها.

١-٢: هذه التفرقة في المعاني؛ بين حسية وذهنية؛ معنوية، لا تختصُ بالجذر (سَ وَ قَ) بل هي عملية مضطردة في كلمات المعجم كافة، فنشاهدُ المعنى الحسي متجاوراً مع المعاني الذهنية.

١-٣: بالنسبة للأولية، أو السَّبْقِيْةِ في المعنى، فالمؤكد هو أحقية الحسي بالسبْق، ولو عدنا للوراء قليلاً، ورأينا الحياة البدوية في أدق تفاصيلها، لوجدنا الكلمات اكتسبت معنىً حسياً، ثم انتقلت — بعد ذلك — إلى طورٍ جديد؛ طورِ الذهنيةِ ، والتجريديةِ.

١-٤: أيضاً، نلحظُ أن الطفل في بداياتهِ الأولى تكون كلماته ذات طابعٍ حسي؛ مادي، وبعد مرورِ سنواتٍ من العمر، والإدراك، تتحول معاني الكلمات إلى طابعٍ معنوي؛ لا مادي. مثلُهُ مثلُ البدائي؛ المتوحش؛ الذي نمثل به على فجر البشرية، وبزوغها، وبَكارتها؛ إذ ظروف التواصل آنذاك، تجبرُ المتخاطِبين — مهما كانت لغتهم أو نوعها — على القصد إلى المعنى الحسي؛ المادي.

١-٥: هكذا عذريةُ اللغةِ، لم تفقدْ بَكارتها بعدُ في مجتمعٍ بدائيٍّ؛ متوحشٍ، كما هو حادثٌ اليومَ، فاللغةُ الآنَ نسيتْ جذرها، وصارتْ معانيها عرضة للتأويل الحسي، أو المعنوي.

١-٦: الحياةُ الثقافيةُ الطويلةُ للبشريةِ أكسبتْها نزعةَ تشكيلِ المعنى، وإعطائِهِ زخماً جديداً، مع كل عمليةٍ لغويةٍ جديدةٍ، لا يمكنُ بأيِّ حالٍ فصلُ حياةِ اللغةِ عنْ حياةِ أهلها؛ هم مَنْ أكسَبَها المعنى، وهي من أكسَبَهم القدرة على التواصلِ والفَهْمِ.

٢-١: إن اللغة تستدعي معجمها المتناسق حول الكلمات، فكلمة (السياق) استدعت مشابِهاتها من أمثالِ ساق سوقاً وسياقاً وسياقةً (٣٥) وأساقه إساقة واستساق استياقة الماشيةَ: أعطاه إياها ليسوقها (٣٦)، وهذا الاستطرادُ واضحٌ جداً في القواميسِ العربيةِ؛ إذْ يتمُ تداولُ اللفظِ، واستقصاءِ جميعِ صِيغهِ؛ ما كانَ اِسماً، أو فِعلاً.

على هذهِ الملاحظةِ سارَ البحثُ في استقصاءِ الكلماتِ القاموسيةِ للفظةِ (السياق).

٢-٢:أولُ مَا نُشاهدُ في المُعجمِ من اِرتباطاتٍ معنويةٍ، تلكَ التي تتعلقُ بالجذرِ (سَوَقَ)؛ وهو الأساسُ الذيْ وجدْنا مادتنا المعجَمِية فيهِ. كانتِ المحاولةُ جمعَ المادةِ واِسْتقصائِها في جميع معانيها، وهو التالي في الحديث:

٢-٣: أبرزُ معنىً، ولعله الأقدمَ من حيثُ تراتبية المعنى وانتقاله من الحسي إلى المعنوي، نشاهدُ لفظةَ (السَّاق) (٣٧) : والساق لكل شجر، وإنسان وطائر (٣٨)، وساق الشجرة: جذعها (٣٩)، وفي الإنسان؛ الساقُ: ساقُ القدمِ (٤٠)، وفي الطير ورد: ساقُ حُرٍ أي: ذكر القماريِّ، وتجمع على: سُوَق (٤١)، وسُوَقَة (٤٢).

فالساق إذن تكون للإنسان وغيره، وإنما سميت بذلك لأنَّ الماشي ينساق عليها (٤٣).

٢-٤:المعنى الحسيُّ متمثلٌ في لفظةِ الساقِ، لكنَّ ذلك لا يُنافي المعاني المعنوية؛ فمنها قَولُ الرَّبِّ تعالي (((يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ))) أيْ: عن شِدَّةٍ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: قَامَتْ الحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَ "إِنَّمَا قِيْلَ ذَلِكَ لأنَّ السَّاقَ هِيَ الحَامِلَةُ لِلجُمْلَةِ وَالْمُنْهِضَةِ لَهَا (٤٤) وأصله أن الإنسان إذا وقع في شدة يقال: شمر ساعده، وكشف عن ساقه (٤٥)، للاهتمام بذلك الأمر العظيم (٤٦)" ثم قيل للأمر الشَّدِيْدِ: سَاق.

ومنه، قام فلان على ساقٍ: إذا عُني بالأمر وَاِجْتَهَدَ فِيْهِ (٤٧)، فالعرب كانوا "يذكرون الساق إذا أرادوا شدة الأمر والإخبار عن هوله، يُقال: قام القوم على ساق يريدون الكد والمشقة" (٤٨).

٢-٥:ومنه أيضاً، يقالُ: بنى القوم بُيُوتَهم على ساقٍ واحدٍ، يريدون بذلك الاسْتواء (٤٩) ، ومحاذاةِ بعضهم لبعضٍ كأنهم صفٌ واحدٌ.

٢-٦:المرأةُ الولودُ حينما تُنجِبُ ثلاثةَ أبناءٍ ليسَ بينهم فتاةٌ؛ أُنثى، تَكونُ قدْ ولدتهم بعضهم في إثرِ بعضٍ على ساقٍ واحدةٍ (٥٠)، أو واحدٍ (٥١).

٢-٧:يُكنى عن السَّاقِ بِالنَّفْسِ، مِثْلَمَا وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ بنَ أَبِي طَالِبِ فِيْ حَرْبِ الشُّرَاةِ "لا بد لي من قتالهم ولو تَلِفَت سَاقِي" (٥٢)، ومثله وردت "الُمحْتَضِرُ يَسُوْقُ سِيَاقَاً" (٥٣)، وَالمقْصوْدُ نَزْعُ الرُّوْحِ (٥٤)المُؤَدِّي إلى المَوتِ (٥٥)، فالسياق هنا بمعنى: الاحْتِضَارِ؛الموتِ؛ الفَنَاءِ.

٢-٨:السَّوقُ: المهر؛ وهو السياق أيضاً (٥٦)، المقدم للعروس، حيثُ كان البدوي يسوقه إليها، ويرسلهُ (٥٧)، وإن كان دراهم، أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تُسَاقُ (٥٨)، حيث هي الغالبةُ على أموالهم، ثم وضع السياق موضع المهر، وإن لم يكن إبلاً وغنماً (٥٩)، فحياةُ العربِ القدماءِ في باديتهم، أجبرتهم على اتخاذ المالِ السائرِ من إبلٍ وغنمٍ، فكان لزاماً عليهم التَّعَامُلَ بِسِلَعِ زَمَانِهم، وَهَكَذا فَعَلُوا، حَيْثُ كَانَتْ لِلمَاشِيَةِ قِيمةٌ، وأهميةٌ.

٢-٩:من سَوق الإبل مهراً للعروس برز استعمال كلمة السياق للماشيةِ، فـــ ساقَ الماشيةَ سوقاً وسياقةً، ومساقاً، واستاقها، وأساقها فانساقت، فهو سائقٌ وسَوَّاق (٦٠)، والتشديد هنا للمبالغة (٦١)، وأصلُ السِّياق سِوَاقٌ، قُلبَت الواو ياءً لِكَسرةِ السين (٦٢).

٢-١٠:وأساقهُ الماشيةَ: أعطاه إياها ليسوقها (٦٣)، بينما (السَّيِّقة): ما يساق من الدواب، أو ما استاقه العدو من الدواب (٦٤)، وتحديداً: ما اختُلسَ من الشيء فساقه (٦٥)، فيكون ما يسوقه العدو مختلساً؛ مسروقاً؛ منهوباً.

٢-١١:المتابعة في السير (٦٦) مأخوذةٌ من انسياقِ الإبل، أو ما تم اختِلاسُهُ من قبلِ العدو، أساسها الماشيةُ التي تسيرُ بشكلٍ متسقٍ متتابع، ثم صارتْ تُستخدم لبني البشرِ، أو ما يصح إتيانه بصورةٍ من صورِ التتابع.

بالنسبة للماشيةِ سوقها يعني: حثها على السير من خلف، فتساوقت الماشية: تتابعت، وانساقت الإبل: سارت متتابعة، والمساوقة: المتابعة، وكذلك لو وردت عند الآدميينَ، فتأخذُ ذَاتَ المعنى.

٢-١٢:ساوقها فتساوقت وانساقت: تابعها فتتابعت وانقادت (٦٧)، حيثُ كان من عادةِ العربِ وقتَ سوقِ الماشية استعمال نوع من الغناء الشعري يُعرفُ بالحداء، ومنه حدو الشيءِ (٦٨)؛ حدو الماشيةِ للسيرِ بها، والمنساق من الجبال: المنقاد طولاً (٦٩)، والتابع والقريب.

٢-١٣:السحاب يُطلقُ عليها (السِّيِّق) سواءٌ أكانَ فيه ماءٌ، أمْ لم يكنْ (٧٠) ، تطرده الريح؛ تسوقه للمكان الذي قدر له، ومنه قولُ العربِ: المرءُ سَيِّقَةُ القدرِ (٧١) أي: يسوقه إلى ما قُدِّرَ له، لا يعدوه؛ حيثُ يشاءُ الله.

٢-١٤:ساق إلى إنسانٍ الخير، أو ساق الأمر إليه أي: صار ملكاً (٧٢)، ومنه اِنساق الملك إلى فلان من الناس. أي: اِنتقل الملكُ إليه (٧٣)، ومساق الخلافة: انتقال الخلافة من شخصٍ إلى آخَر (٧٤).

٢-١٥:من المُلك والمُلوكِيةِ ننتقلُ إلى الجانب الآخَرِ؛ جانبِ الشعبِ؛ "الرَّعِيةِ" ، حيثُ يُعبرُ عنها بالـــ (سُوَق / سُوَقَة) (٧٥)، فالسُّوَقَة: مفرد، وجمعه: السُّوَق؛ ويأتي للواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، والسُّوَقة من الناسِ: منْ لم يكن ذا سلطانٍ " وهم من غير الملوك "، بل المَلِك يسوسهم، ويسوقهم، ويصرفهم إلى ما شاء من أمره، فهم من " أوساط الناس " أي: عامتهم، وغالبيتهم؛ ليسوا من الوُجَهَاءِ.

سببُ تسميةِ "الرَّعِيةِ" بالــ سُوَقَة؛ لأن الملوك يسوقوهم فينساقون لهم، والــ مُنساقُ: التابع والقريب (٧٦)، هنا نتذكر عبارةَ العربِ: المرءُ سَيِّقَةُ القدرِ (سبق بيانه) لنلحظَ التشابه بين المَلِك والقَدَرِ،

فكلاهما يسوقان الإنسان إلى طريقٍ يحددانه، إنما يبقى القدَرُ أعلى سلطةً من المَلِك، فهو تابعٌ ومنقادٌ أيضاً؛ كالبقية.

٢-١٦:أتت تسمية "السُّوق" (٧٧) من "سُوَق / سُوَقة" الناس، وهي جمع كلمة: ساق؛ لأن الناس فيها يقفون على "سُوَقِهم"، أو سميت بذلك لسوق الناس إليها (٧٨)، و"السُّوق" مفردٌ، وجمعها: أسواق، وأصلُ اِشتقاقها من سَوقِ الناس بضائِعهم إليها "موضع البياعات" (٧٩)، حيثُ يمارسُ الناسُ عمليةَ "تَسُّوقٍ": بيع وشراء، وتُعرض فيه السِّلَعُ للبيع والابتياع (٨٠).

٢-١٧:"السُّوقُ" أيضاً تُستعملُ في مجال الحربِ، فـــ سُوق الحرب: حَومةُ القتالِ (٨١)، وقامت الحرب على ساقٍ أي: اشتدت وتعاظمت (٨٢)، ومنه الآية: (يوم يكشف عن ساقٍ) أي عن شدة (سبق بيانه)،و(إلى ربك يومئذٍ المساق) أي: المنتهى والمرجع (٨٣)، وكلها ألفاظٌ تَعضُد بعضَها، فكأنَّ اللغةَ نسجت من معجمها شكلَ الحياةِ العربيةِ، وأعطتْ لكلِّ حركةٍ اسماً، ولكلِّ تحرُّكٍ صفةً، ولو سِرنا قليلاً لوجدنا "ساوقه" بمعنى: فاخره في السوق، وتابعه وسايره وجاراه (٨٤)، و "ساوقه مساوقة": ساواه (٨٥)، وهذه العبارة متصلةٌ بالعبارة التي سبق لنا إيضاحها : بنى القوم بُيُوتَهم على ساقٍ واحدٍ، أي: مُتَسَاوِيْنَ.

٢-١٨:وهناك "سَاقَةُ الجيش" (٨٦) : مؤخَّرَه، وفلانٌ في ساقةِ العسكر: في آخره، و "الساقةُ": جمع سائق، وهم الذين يسوقون الجيش الغزاة، ويكونون من ورائهم، يحفظونه، ومنه ساقة الحج (٨٧)؛ السائرين خلف الحُجَّاجِ مِن أجْلِ حِفظِهم.

٢-١٩:يلحق بالسُّوق لفظ "السُّوقي" نسبةً إليها (٨٨)، أو نسبة إلى السوقة (٨٩)، لأن التجارة تُجلب إليها وتساق المبيعات نحوها، والسُّوقِيُّ من اللفظِ: هو المُبْتَذَلُ.

٢-٢٠:ساق بفلانٍ (٩٠): كان دليلاً له، وساقه مساق غيره أي عامله معاملة غيره (٩١)، والسُّويقة: موضع بنواحي المدينة المنورة "يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه" (٩٢).

٣-١:من المجاز: هو يسوق الحديثَ أحسن سياق (٩٣)، وإليك يُساق الحديث، وكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده (٩٤)، وساق الحديث: سرده (٩٥) وسلسله (٩٦)؛ أورده بسهولة وسلاسة ، وإليك يُساق الحديث: يُوجَّه (٩٧)، وورد في شفاء الغليل أن السياق: يدل في كلام المولدين على أمور منها ما سيق له الكلام من الغرض (٩٨)، وسياق الكلام " أسلوبه ومجراه" (٩٩) / سياق الحوادث – الأمر: الظروف التي يقع فيها، بَيَّنَ له السياق الذي وقعت فيه السرقة: "شرح المتهم للقاضي السياق الذي ارتكب فيه جريمته" (١٠٠).

٣-٢:السياق يعني: "تعاقب سلسلةٍ من الظاهرات في وحدةٍ ونظامٍ كتعاقب الظاهرات الفيسيولوجية والسيكولوجية" (١٠١)، والسياق "مفرد" وجمعه "سياقات" (لغير المصدر)، والمصدر: ساق، والمساقُ "مفرد": مصدر ميمي من ساق (١٠٢).

٣-٣:يُقالُ: "وقعت هذه العبارة في سِياق الكَلامِ" أيْ مُدرجة فيه (١٠٣)، "كما يقالُ: سَاق حَديثاً أو كلاماً يُقَالُ: سَاق قولاً، وسَاق خبراً، أي سَرَدَهُ سلسله. والفعل وحده (سَاق) يستعمل بمعنى: حدَّث وحَكَى وَرَوَى" (١٠٤).

٣-٤:سياق: تسلسل الأشياء وتتابعها، وتسلسل الأفكار باقي الحديث أو القصة أو الكلام، يقال: نرجع إلى سياق الكلام، أي نرجع إلى باقي الكلام" (١٠٥)، والمساقُ: تسلسل، تتابع مثل سياق (١٠٦)، والسوقان: "مصدر ويستعمل اسماً بمعنى استقراء واستنتاج" (١٠٧).

٣-٥:السياق عند القصاص (١٠٨): الحصة من الحديث، و"ساق القصة: قصها" (١٠٩)؛ حدَّثَ بها، وحكاها؛ رواها (١١٠).

٣-٦:السياق: الشفاعة (١١١)؛ أو الوساطة في أمرٍ ما، كشفاعة النبي (ص) لأمته.

٣-٧:مجرى الأحداث في رواية أو مسرحيةٍ، أو تسلسل أحداث مترابطة بحيث تتألف منها حبكة بداية وتنامٍ ونهاية؛ يُطلق على هذه العمليةِ مُسمى "سياق"، كما توجدُ قاعدةٌ وضعها أرسطو؛ تقضي بألاَّ يكون للرواية، أو للمسرحيةِ سوى حبكةٍ واحدةٍ، وهي قاعدة "وحدة السياق"، وقد أقرها الكلاسيكيون في منتصف القرن السابع عشر، وطورها الرومانسيون مع محافظتهم على وحدة الإثارة (١١٢).

٣-٨:للفظةِ السياقِ مرادفاتٌ خارجَ الإطارِ القاموسيِّ؛ المُعجمي، نُورِدُها؛ اِستكمالاً لِما بدأنا به، وإتماماً للفائدةِ، وهذهِ المُرادِفاتُ اِستعملها عُلماءٌ من خارجِ الإطارِ اللغويِّ، رغمَ عِلمهم باللغةِ، ودِراستهم لها.

المرادفاتُ هي: المقام (١١٣)، ونظرية النظم كما تناولها عبد القاهر الجرجاني (١١٤)، ودلالة الحال، أو مقتضى الحال، أو قرينة الحال، أو شاهد الحال، أو بساط الحال (١١٥)، والقرينةُ (١١٦)، والغرض، أو مقصود الكلام (١١٧)، واللسانُ المرادُ بِهِ الكلام (١١٨)، والمناسبة (١١٩).

٣-٩:بالرغم من ورود لفظِ السياق في التراث العربي، إلاَّ أنه يستعمل اِستعمالات مختلفةٍ، وقابلةٍ لتعدد الفهم، كسياق الموقفِ؛ كانَ يُشارُ إليهِ عندَ اللغويينَ، والبلاغيينَ، والأصوليينَ، والمفسرينَ، بِاصطلاحاتٍ أخرى تؤدِّي نفسَ المفهومِ مثلَ: الحال (الأحوال)، المشاهدةِ، المشاهد، والدليل، والقرينة (القرائن)، والمقام، والموقف (١٢٠).

٤-١:كثرةُ المعاني المشتقة من الجذرِ (سَ وَ قَ) تحيلنا إلى ميزةٍ اِمتازتْ بها اللغةُ العربيةُ؛ لغتُنا، عن سواها من اللغات، ألا وهي غِنَى المعجم بالمعاني التي تؤدي المَقصدَ، بل ربما اشتركت كلمتان أو أكثر في معنىً محدد، إضافةً إلى المعاني الأخرى التي تمتلكها كل كلمةٍ، وهنا نقعُ في إشكالٍ، فما الذي يحدد معنى الكلمة؟

لا نستطيعُ فضَّ التشابك القائم سوى بإرجاع الكلمة إلى سياقها، فالسياق يحدد معناها بدقةٍ (١٢١).

٤-٢:تبقى المعاني القاموسيةُ مجردَ مفاهيمَ لمصاديقَ خارجية؛ تُحيلُ إلى مُتَصَّورٍ ما (١٢٢)، تسبح في لغتنا المستعملة، وإذا كانت اللغة قد تم جمعها منذُ بذرتها الأولى من لَدُنِ العرب الأقحاح، فإنَّ تطوُّرَ الزمانِ قد ولَّدَ الكثيرَ من المعاني المستحدثةِ، وهو أمرٌ طبيعي بالنسبة إلى لغةٍ لا تريدُ أن تموت، بل ترغبُ بمواصلةِ حياتها وفق ما خططه الله لها (١٢٣).

٤-٣:الكثرةُ الكاثرةُ من المعاني المتعلقة بلفظة (السياق)؛ فمن المَهر (٢-٨) إلى الاحتِضار (٢-٧)، إلى السحاب (٢-١٣)، إلى مؤخَّرَةِ الجيش (٢-١٨)، إلى المنهوب والمسلوب من الدواب (٢-١٠)، إلى السوق موضع البيع والشراء (٢-١٦)، إلى الرَّعية (٢-١٥) ... إلى العبارة المدرجة في الجملة (٣-٣)، إلى المتابعة والقرب (٢-١٥)، إلى التساوي (٢-١٧)، إلى تسيير الإنسان إلى ما قدَّرَه الله له (٢-١٣)... والكثيرَ مِمَّا سبق وبَيَّنَّا قبلُ.

الملاحظة الحالية تؤكد سابقتها، وتوحي بشيء آخَرَ، وهو حاجة العرب إلى تعدد المعاني للكلمة الواحدة؛ لِتُناسب الفنون القوليةَ التي برعوا فيها.

٤-٤:قضيةُ تعدُّدِ مَعنى اللفظِ ليستْ الوحيدةَ في القائمةِ، بل تحس حينما تستقصي معاني الجذر (سَوَق) أنه حياةٌ بكاملها، جميع مناحي الحياة لها وجود في هذا اللفظِ، ارتباطه بالإنسان بادٍ بشكلٍ كبير؛ ينتقل معه من طورٍ إلى آخَرَ، لا يغادر جزئية من جزئيات الحياة إلا وتغلغل فيها، كل هذا بفعل تطور الزمن، وتطور اللفظةِ معه.

٤-٥:منذُ الولادةِ إلى الموتِ، إلى الشفاعة الكبرى للنبي (ص)، تجول مفردة (السياق)، وتتتابع كأنما تُشكِّلُ حَيواتِنا بأكملها، فلا تمرُّ مرحلةٌ من مراحل الحياةِ إلاَّ ووجدنا للفظةِ (السياقِ) أثراً، وشاهداً، وهذا ما يقود إلى الفكرة القائلة: إنَّ المعجم اللغوي قد صاغ حَيواتِنا وفق ثقافةٍ معينةٍ؛ متسلسلةٍ.

٤-٦:اللغةُ نظامٌ (١٢٤) حياتي متكامل (١٢٥)، وتُعتبر "أعظم اكتشاف عرفه الإنسان على مر العصور" (١٢٦) تحيا بنا ونحيا فيها، نعبر عن أفكارنا المجردة من خلال ألفاظها، وتُعبِّرُ عن نسقٍ ثقافي

(١٢٧)، وفكري (١٢٨) معاش، نتعاملُ معها كأنها لا وجودَ لها، بل إنَّ إحساسنا بها يبلغُ من العمق بمكانٍ أننا لا نشعر بوجودها؛ بأهميتها، إلاَّ أنَّ أهميتها جاثمةٌ لا إشكالَ فيها (١٢٩)، فكما أننا لا نُدركُ أهميةَ وجودنا إلاَّ إذا دعت الضرورةُ، أو الحاجةُ إلى ذلك، فكذلك اللغةُ، حاجتنا إليها تُحدد أهميتها.

٤-٧:إنَّ كونَ اللغةِ نظامٌ (١٣٠)، يعني امتلاكها سلطةً (١٣١)؛ خفيةً، تُمارسُ من بعيدٍ سطوتها على الأفراد (١٣٢)؛ غير العابئين بها؛ لا يكترثون لأمرها، ولو فقدوها لأدركوا أهميتها البالغةِ (١٣٣)، وهو ما جاهدَ اللغويون لإثباته في كتب القواميس والمعاجم؛ التي بطبيعتها لا تستطيع حصر جميع السياقات (١٣٤).

اِرتباطُ اللغةِ بالواقع الاجتماعي (١٣٥) أمرٌ ثابتٌ، وما الدلالات المتنوعة لكلمة (السياق) سوى دليلٍ أكيدٍ على ذلك.

٤-٨:بعد اِنتهائِنا من إيضاح الدلالات المتنوعةِ لكلمة (السياق)، نأتي إلى كلمةٍ أخرى، اِرتبطت بها، وسارت معها في مراحلها الدلالية المتنوعة؛ تلك الكلمة هي (النَّسَق)، فما النَّسَق؟ وما اِرتباطهُ بالــ (سياق)؟ هذانِ سؤالانِ يُجابُ عنهما تالياً؛ في المبحثِ القادم.

الفصل الثاني

النَّسَق

١-١:الحديثُ عن "النَّسَق" مُختلفٌ عن "السِّيَاق"؛ فحينَ نُشاهدُ كثرةَ المعاني، وتشعبها في لفظةِ "السِّيَاق" نَجدُ عكسَ ذلك تماماً في بحثنا حول "النَّسَق"، وكأنَّ هذهِ الكلمةَ لم يستوعبها القاموس جيداً.

١-٢:أيضاً اِنقسمَ الحديثُ حول "النَّسَق" معجمياً إلى فرعين؛ أولهما: المعنى المادي المحسوس، وثانيهما: المعنى الذهني؛ التجريدي (١٣٦).

١-٣:بالنسبة للفرع الأول؛ المتعلق بالمعنى المادي، فله سِمةُ السَّبْقِ على المعنى الذِّهني، وهذا ما سنتعامل على أساسه تالياً.

١-٤:ثمةَ أمرٌ أخيرٌ لابُدَّ من الإشارة إليه؛ من أجلِ فهمٍ تامٍ للفظة "النَّسَق"، ألا وهو عدمُ استقلاليتها في المعنى، فتبعيتها للألفاظ الأخرى بارزةٌ جداً؛ بخلاف لفظة "السِّيَاق"؛ التي تَشَكَّلَ مَعْناها المُسْتقِل، دُونَ الحاجةِ إلى الاسْتعانة بالكلمات الأخرى؛ لتوضيحها.

٢-١:نَسَق يَنْسِقُ، نَسَقاً، فهو نَاسِقٌ، والمَفعولُ مَنْسُوقٌ (١٣٧)، و"تَنَاسَقَ" من نَسَق (١٣٨) واِنْتَسَقَ (١٣٩)، فهو "نَسِيْقٌ" (الرائد ص٨٠٤)، و "مُتَنَاسِقٌ" (١٤٠)، و"نَسْقٌ"[مفرد]: مَصدرُ نَسَق (١٤١)، ونَسَق و"نَسَّق"، ومنه "التَّنْسِيْقُ" (١٤٢) بمعنًى واحدٍ، و"اِسْتَنْسَقَ" (١٤٣)، و"أَنْسَقَ" (١٤٤) نَسَقاً ونَسْقاً، واِنتَسَقَتْ (١٤٥) وتَنَسَّقَتْ (١٤٦).

٢-٢:أولُ معنًى، وأقرَبُه إلى الحِسِّ ذلك المتعلقِ بالدُّرِّ (١٤٧)، والعقيقِ (١٤٨)، والخرزِ (١٤٩)، والثَّغرِ (١٥٠)، والشَّعْرِ (١٥١)، والكتب (١٥٢)؛ حيثُ يسبِقها "نَسَقَ"، ويُضيفُ إليها معنى: التنظيم، والترتيب، والحسن.

فـــ "نَسَقَ": الدُّرَّ نَسقاً (١٥٣) : نظمهُ على السواء، ودرٌّ نَسقٌ (١٥٤): منتظم، و"در نَسِيق" (١٥٥): ما كان منظماً.

ومثلهُ، نَسَق العقيق (١٥٦): نظمه، ونَسَقَ الكتب (١٥٧): رتبها، نظمها، وخرزٌ نَسَقٌ (١٥٨):منظم.

عند ابنِ فارسٍ أنَّ الثَّغرَ النَّسَقَ (١٥٩): ما كانت أسنانهُ متناسقة متساوية، ومستوية (١٦٠).

٢-٣:"نَسَقْت" الكلام نَسْقاً: عطفتُ بعضه على بعض، ورتبتهُ (١٦١)، وهذا كلامٌ "مُتَنَاسِقٌ" (١٦٢)، وقدْ "تَنَاسَقَ" كلامهُ: جاء على نَسْقٍ ونِظَامٍ (١٦٣)، وكلامٌ "نَسَقٌ" (١٦٤): متلائم، جاءَ على نظامٍ واحدٍ، قدْ عُطِف بعضهُ على بعض، و "نَسَقَ" الكلامَ: عطفه، ورتبه بإتقان على نظامٍ واحد (١٦٥)، و "النَّسَقُ": الكلامُ على نظامٍ واحد (١٦٦)، يُقالُ "هذا نَسْقٌ على هذا" أي معطوف عليه (١٦٧)، و "أَنْسَقَ" الرجلُ: تكلَّمَ سجعاً (١٦٨).

٢-٤:"نَسَّقَ" الشيءَ: نَظَّمَهُ [وهي اللغة المشهورة] (١٦٩) تَنْسِيقاً، و "التَّنْسِيقُ": التَّنْظِيمُ (١٧٠)، وجعلَ الأمرَ "مُتَنَاسِقاً" (١٧١) و "نَسْقاً" (١٧٢)و "نَسَقاً" (١٧٣)، و "اِنْتَسَقَ": انتظمَ وكان على نَسَقٍ واحد، و "تَنَاسَقَتِ" الأشياءُ و "اِنْتَسَقَتِ" و "تَنَسَّقَتِ" بعضُهَا إلى بعضٍ: تتابعت، و "نَاسَقَ" بينَ الشيئينِ: تابعَ بينهما ولاءَمَ (١٧٤)، و "النَّسَقُ" من كلِّ شيءٍ: ما كان على طريقةٍ ونظامٍ واحدٍ عام (١٧٥).

و"النَّسَقُ" بالتحريكِ: طَوَارُ (١٧٦) الحبلِ إذا امتدَّ مستوياً، يُقال: على هذا "النَّسَق": أي على هذا الطَّوَارِ (١٧٧)، ويُقالُ: قام القومُ نَسَقاً، وغرستُ النخلَ نَسَقاً (١٧٨) أي على نظامٍ واحد، وتَسيرُ على نَسَقٍ واحد: على طريقةٍ واحدةٍ، ونمطٍ واحد، وسارَ على نَسَقِهِ: مِنواله؛ أي حاكاهُ وسار على سيره (١٧٩)، ومُطَّردُ النَّسَقِ: مُنتظِم ومُتَّسِق (١٨٠).

"نَسَّقَ" العملَ: نَظَّمَهُ، و"نَسَّقَ" أعمالَ اللِّجان، أو"نَسَّقَ" المناهجَ التربويةَ: جعلها على نَسَقٍ واحدٍ، ومَعاييرَ متشابهةٍ (١٨١).

٢-٥: حروفُ "النَّسقِ" (١٨٢)، هي حروفُ العطفِ؛ الرابطةِ بينَ الجملِ، والعاملةِ على تنسيقهِ، و "تَنَاسُقِهِ" (١٨٣)، و "نَاسَقَ" بين الجمل: تابع بينها ولاءَم (١٨٤)، وجعلها منتظمةً مستويةً، و "النَّسْقُ": العطفُ على الأولِ، والفعلُ كالفعلِ (١٨٥)، و "هذا نَسْقٌ على هذا" أي معطوفٌ عليه (١٨٦).

٢-٦:"النَّسَقُ": مجموعة من العناصر يرتبطُ بعضُها ببعضٍ بحيث تكون كلاًّ منظماً؛ تتالت آراؤُه في نسق فكري (١٨٧)، وتناسقت واِنتسقت وتَنسَّقت: تتابعت (١٨٨).

و "النَّسقُ" اللفظي: الترتيبُ النحوي للكلمات في الجملة أو العبارة (١٨٩).

٢-٧:و "التَّنسِيقُ": ترتيبُ أجزاءِ شتَّى وتنظيمها من أجل الحصول على كلٍّ متماسكٍ مترابط، أو تنظيم الأعمال في مؤسسة أو مشروع أو إدارة أو نحوها على نحو يكفلُ حسن سيرها، ويحقق الانسجام بين عناصرها، أما في البديع (من علوم البلاغة): ذكر صفاتٍ متواليةٍ على سياقٍ واحدٍ دونَ عاطفٍ، مدحاً كانَ أم ذماً (١٩٠).

٣-١:كثيرٌ من ألفاظِ القواميسِ تحتاجُ إلى تَفَكُّرٍ، خصوصاً إذا اِرتبطَ معناها بكلماتٍ أُخرى، وهذا ما وَجدْناه في مُمارستنا لِقراءةِ مفردةِ "نَسَق".

٣-٢:تنوعت مفردةُ "نَسَق" في اِستعمالها، فَاِنتقلتْ من المستوى الحسيِّ المرتبطِ بالدُّرِ (٢-٢)، والعقيقِ (٢-٢)، والأسنانِ (٢-٢)، إلى المستوى المعنوي الذهني المرتبطِ بالكلامِ (٢-٣)، والتنظيمِ المؤسسيِّ (٢-٧)، وصولاً إلى اِرتباطِ المفردةِ بحروف العطفِ، وتسميتها حروفَ النَّسقِ (٢-٥).

٣-٣:إجابةً على سؤالِ: ما الرابطُ بينَ (السِّياقِ) و (النَّسَقِ)؟

يمكننا الإجابة بما اِستفدناه من معنى "النَّسَقِ" في ما يتعلق بالتنظيمِ، فالسياق متشعبٌ، واسعُ المعاني، يغوصُ في أعمقِ أعماقِ الحياةِ الإنسانيةِ، والنسقُ يتولَّى تنظيمَ هذهِ الحياة.

يَعملُ النسقُ على التنظيم المؤسسيِّ الفاعلِ، فَحِينَ يبرزُ السياقُ كقوةٍ مؤسِّسةٍ؛ يأتي النسقُ لِيُنظِّمَ الاتجاهات المتنوعةِ داخلَ البيتِ المؤسسي؛ أو السياقي.

العلاقةُ بينهما؛ علاقةُ الكلياتِ بأجْزائِها؛ حيثُ الكُلياتُ "سياقٌ"، والأجزاءُ "أنساقٌ"، هكذا تتبدَّى العلاقةُ، وتظهرُ للعلنِ.

النَّصُّ "سِياقٌ" (١٩١) يُحِيلُ إلى دِلالاتٍ متنوعةٍ؛ تتشابكُ في منظومةٍ متكاملةٍ إلى أنْ تبلغَ الدِّلالةَ الكليةَ، بينما "النَّسقُ" تَفرُّعاتُ النَّصِّ الداخليةِ؛ تتحاورُ داخِلهُ، وتتجاورُ؛ مُحْدِثَةً نقاشاً عميقاً، وربما اِنتهتْ إلى دِلالاتٍ متخالِفةٍ؛ مُتضادَةٍ، إنما تَصُّبُ في الدِّلالةِ الكليةِ؛ النهائيةِ.

يبرزُ سؤالٌ ههنا: هلْ اِحتوتِ اللغةُ (السِّيَاقُ) على (أنْسَاقٍ) في داخِلها؟

الهوامش

١- ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة، بإشراف الدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ، ص٤٦ وما بعدها.

٢- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري – حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس ٢٠٠٨م، ص١٣٣

٣- الطلحي، دلالة السياق، ص٥٠

٤- الطلحي، دلالة السياق، ص٥٤-٥٥

٥- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ت، ص١٥٩

٦- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٣١٠-٣١١

٧- الطلحي، دلالة السياق، ص٦٠-٦١

٨- الطلحي، دلالة السياق، ص٥٦-٥٧

٩- الطلحي، دلالة السياق، ص٦٢ وما بعدها

١٠- سعد بن مقبل بن عيسى العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية تخصص أصول الفقه، بإشراف الأستاذ الدكتور/ حمزة بن حسين الفعر، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الأصول، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ، ص٦٤

١١- الطلحي، دلالة السياق، ص٦٤ / العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٨: وانظر تفريعات الحال: مقتضى/ قرينة/ شاهد/ بساط، الحال

١٢- الطلحي، دلالة السياق، ص٦٤ / و العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٨

١٣- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م، ط٥، ص٧١

١٤- الطلحي، دلالة السياق، ص٦٨

١٥- مجمع الأمثال للميداني، ج٣ ص١١٣

١٦- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص٥١٨

١٧- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد – الأردن ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، ص٢٧٧

١٨- الطلحي، دلالة السياق، ص٨٢

١٩- الطلحي، دلالة السياق، ص٨٣

٢٠- الطلحي، دلالة السياق، ص٨٥

٢١- الطلحي، دلالة السياق، ص٨٨

٢٢- الطلحي، دلالة السياق، ص٩١

٢٣-الطلحي، دلالة السياق، ص١٠٦

٢٤-الطلحي، دلالة السياق، ص١٠٦

٢٥-الطلحي، دلالة السياق، ص١٠٧

٢٦-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق – سوريا ٢٠٠٠م، ط٢، ص٢٠٤

٢٧-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٣٥

٢٨-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٣٦

٢٩-دلالة السياق للطلحي ص١٣٦ وما بعدها

٣٠-الطلحي، دلالة السياق، ص١٣٧

٣١-الطلحي، دلالة السياق، ص١٤٤

٣٢-الطلحي، دلالة السياق، ص١٥٧ وما بعدها

٣٣-الطلحي، دلالة السياق، ص١٤٨

٣٤-فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط٢، ص٢١٧ / وهادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٢٦٣ وما بعدها

٣٥-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط١٩، ص٣٦٣

٣٦-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥

٣٧-السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ج٢٥، تحقيق: مصطفى حجازي، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص٤٧٠-ص٤٨٤ / أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٧م، ص٨٥٣ / إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٩٠م، ط٤، ص١٤٩٨-ص١٥٠٠ / أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ص٥٢٣ / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، د.ت، د.ن، ص٢٧٩ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٣ / أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت، ص٤٥٦ / أبي عبد الرحمن الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم – إيران ١٤٠١هـ، ط٢، ج٥ ص١٩٠ / أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ط١، ج٣ ص١١٧ / جماعة من المختصين بإشراف أ.د. أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت – لبنان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ط١، ج١ ص٩١٩ / إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول – تركيا، مجمع اللغة العربية، د.ت، ج١ ج٢ ص٤٦٤-ص٤٦٥

٣٨-الفراهيدي، كتاب العين، ص٤٥٦

٣٩-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٢ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩

٤٠-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٠

٤١-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧١

٤٢-جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٣١٤

٤٣-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧

٤٤-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧١

٤٥-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤

٤٦-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٢

٤٧-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤

٤٨-الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ج٣ ص٢٥٣

٤٩-السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيق: مصطفى حجازي ود. محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية (مصر)، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط١، ج٥ ص٢٦٩

٥٠-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤

٥١-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩

٥٢-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٨٣ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٢٦٩

٥٣-الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤

٥٤-صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص٢٧٩ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٥

٥٥-الفراهيدي، كتاب العين، ص٤٥٦

٥٦-الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٢٦٩ / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٣ ص٢٥٣ / المحيط نت (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: أديب اللجمي وشحادة الخوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عبيد ونبيلة الرزاز، وراجعه ونسقه: أديب اللجمي ونبيلة الرزاز، موقع عجيب، قسم المعاجم، وقد اعتمدت عليه لغياب النسخة الورقية، أو المصورة لتأكيد المعلومات الواردة في المعاجم الأخرى، أما الأخذ منه وحيداً فنادر) / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص٢٧٩ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٥ / بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م، ص٤٤١

٥٧-المحيط نت

٥٨-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٥

٥٩-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٥

٦٠-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٥

٦١-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩

٦٢-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٤

٦٣-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٥٢٤

٦٤-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٥ / جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٩٢م، ط٧، ص٤٥٧

٦٥-ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٥٢٤

٦٦-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥ / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص٢٧٩ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩ / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٣ ص٢٥٢ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٢٧١ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦

ص٥٢٣ / محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٩م، ص٣٣١ / المحيط نت / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٢

٦٧-الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٣ ص٢٥٢

٦٨-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧ / صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص٢٧٩

٦٩-الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٣ ص٢٥٢

٧٠-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٠٠ / جبران مسعود، الرائد، ص٤٥٧ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٥ / الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٦

٧١-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٨٣ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٥٢٤ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٢٧٢ / الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ص٢٥٣ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٧٢-الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٣

٧٣-رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله للعربية: د. محمد سليم النعيمي، سلسلة المعاجم والفهارس (٣٢)، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م، ج٦ ص١٩٢

٧٤-رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٦

٧٥-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٥ / الفراهيدي، كتاب العين، ص٤٥٦ / الفراهيدي، كتاب العين، ج٥ ص١٩٠ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٥٢٧ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥ / أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق ثقافية، بغداد ١٩٨٩م، ج٢ ص٥٤

٧٦-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٩-٤٨١

٧٧-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٦-٤٧٧ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤-٤٦٥

٧٨-أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٧٩-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٨١

٨٠-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤-٤٦٥

٨١-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٧ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص١١٧ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩

٨٢-أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٨٣-أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ط١، ج٢ ص١١٣٩

٨٤-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤

٨٥-أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٨٦-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٤ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٤٩٩ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣١٤

٨٧-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٤

٨٨-أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج٢ ص٥٤

٨٩-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٥

٩٠-رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩١

٩١-بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٤٤١ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٩٢-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٧٨

٩٣-بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٤٤١ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩١٩

٩٤-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٥ ص٤٨٣ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٢٦٩ وص٢٧٢

٩٥-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٣ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٧

٩٦-رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩١

٩٧-محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ص٣٣١ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٤ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٧

٩٨-الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٣ ص٢٥٣

٩٩-لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٤٦٥ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٤٤١ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩٢٠ / جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٤م، ط٢، ص١٤٣

١٠٠- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٩ / المحيط نت

١٠١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٩ / المحيط نت

١٠٢- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٧

١٠٣- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٣٦٥ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج١ ص٩٢٠ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٤٤١

١٠٤- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩١

١٠٥- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٥

١٠٦- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٦

١٠٧- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٥

١٠٨- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٥ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٤٤١

١٠٩- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢ ص١١٣٧

١١٠- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩١

١١١- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص١٩٥

١١٢- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص١٤٢-ص١٤٣

١١٣- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٤

١١٤- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٦

١١٥- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٨

١١٦- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٦٩

١١٧- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٧٠

١١٨- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٧١

١١٩- العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين، ص٧٣

١٢٠- الطلحي، دلالة السياق، ص٣٢

١٢١- الطلحي، دلالة السياق، ص٤٣-٤٤ وص٥١ / هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ط١، ص١٨٧

١٢٢- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٤٢

١٢٣- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٩م، ص١٥٠

١٢٤- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٢٠٠٠م، ص٩٧

١٢٥- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٨

١٢٦- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص١٧

١٢٧- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٨، ص٢٠٧ / رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م، ص٦٣ / حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٨ وص١٣٩

١٢٨- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٣١ / جان بريفو وجان فرانسوا سابليرول، المولد (دراسة في بناء الألفاظ)،ترجمة: خالد جهيمة، مراجعة: د. حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠م، ط١، ص٩

١٢٩- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية (٣)، بغداد ١٩٨٥م، ص٢٥

١٣٠- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٩٢

١٣١- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء – المغرب ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ط١، ص١٢٤

١٣٢- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤

١٣٣- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٤٣

١٣٤- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٢٦٥

١٣٥- الطلحي، دلالة السياق، ص٢

١٣٦- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٢٣٦

١٣٧- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٣

١٣٨- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤

١٣٩- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٢٣٩

١٤٠- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٤١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ص٣٦٦

١٤٢- صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، ص٦٦٣

١٤٣- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٦ ص٢١٤

١٤٤- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١

١٤٥- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١

١٤٦- الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٣٠

١٤٧- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / جبران مسعود، الرائد، ص٨٠٤ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٣٠ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٤٨- معجم الغني (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: د. عبد الغني أبو العزم، موقع عجيب، قسم المعاجم، وقد اعتمدت عليه لغياب النسخة الورقية، أو المصورة لتأكيد المعلومات الواردة في المعاجم الأخرى، أما الأخذ منه وحيداً فنادر)

١٤٩- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠

١٥٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / الزمخشري، أساس البلاغة، ٦٣٠

١٥١- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩

١٥٢- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩ / الغني نت

١٥٣- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ٨٠٦

١٥٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩

١٥٥- جبران مسعود، الرائد، ص٨٠٤

١٥٦- الغني نت

١٥٧- الغني نت

١٥٨- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨

١٥٩- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠

١٦٠- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨

١٦١- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٦٢- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٣٣٦ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٣٠

١٦٣- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٣٠ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٦٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩

١٦٥- الغني نت / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤

١٦٦- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١

١٦٧- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٦٨- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩/ الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١

١٦٩- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١ / المحيط نت / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٢٣٩

١٧٠- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٣٦٦

١٧١- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١

١٧٢- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٣٦٦ / ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٢٣٩

١٧٣- ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢ ص٨٥٣

١٧٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / بطرس البستاني، محيط المحيط، ص٨٩١

١٧٥- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١ / الفراهيدي، كتاب العين، ص٩٥٧ / الفراهيدي، كتاب العين، ج٥ ص٨١ / أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩

١٧٦- حدُّهُ وقَدْرُهُ: جَميعُهُ: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٥٧٠

١٧٧- الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، ج٥ ص٣٦٦

١٧٨- الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٣٠

١٧٩- الغني نت

١٨٠- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٣

١٨١- الغني نت

١٨٢- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤ / ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص٤٢٠ / الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٤ ص١٥٥٨ / الغني نت / المحيط نت

١٨٣- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩ / إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٨ / أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤

١٨٤- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٩١٩

١٨٥- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦ ص٢٣٩

١٨٦- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٨٧- المحيط نت

١٨٨- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج٥ ص٤٥١ / الفراهيدي، كتاب العين، ص٩٥٧ / الفراهيدي، كتاب العين، ج٥ ص٨١ / لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ص٨٠٦

١٨٩- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣ ص٢٢٠٤

١٩٠- أ.د. أحمد أبو حاقة، وجماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، ج٢ ص١٩٨٩

١٩١- الطلحي، دلالةُ السياق، ص٥

الباب الثاني

اللُّغَةُ "أنْسَاقٌ" دَاخِلَ "السِّيَاقِ"

اِمتداداً للفصلِ السابقِ، جاءَ هذا الفصلُ؛ لِيُقدِّمَ حِواراً لُغوياً؛ في داخلِ اللغةِ ذاتِها، مُستكشِفاً الانقسامات، والتبايُنَاتِ الحادثةِ.

اللغةُ "نِظامٌ" (١) يتأسسُ بهِ (٢) وَعيُ الفردِ (٣)، بلِ الجماعةِ اللغويةِ بِكاملها (٤) يرتبطُ اِرتباطاً لا فكاكَ منهُ بهذا النظامِ. اللغةُ، النظامُ، السياقُ، النصُّ الكليُّ؛ مُصطلحاتٌ ومفاهيمُ (٥)تَعبُرنَا؛ تَخترقُ حيواتِنا الآنيَّةِ مُؤسِّسَةً نمطاً معيشياً اِنعكسَتْ آثارهُ وتَبدَّتْ على سُلوكياتِنا حتَّى باتتِ الأقوالُ والأفعالُ الصادرةُ عنَّا خاضِعةً لسلطةِ اللغةِ، ولِسياقها المؤسَّسي.

اِجْتِمَاعِيًّاً "الفردُ" وحدةٌ صُغرى مِن الوَحَدَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ للمُجتمعِ، دَورهُ المحوريُّ ليسَ التأسيسَ، بلِ الخضوعُ التامُّ لسلطة مُتَوَرَاثةٍ عبرَ أجيالٍ وأجيالٍ؛ تَتعاقبُ في سِلسلةٍ طويلةٍ من القوانينِ اللغويةِ؛ المنظِّمةِ لِمُختلفِ جوانبِ حَيواتِنا، ولعلَّ أبرزَ مثالٍ للسلطةِ اللغويةِ يَتضِحُ بِشكلٍ جليٍّ في الحاكميةِ (٦) الدِّينيةِ (٧) المنظِّمةِ لشؤونِ البشرِ، أكانوا أفراداً، أم جَماعاتٍ؛ لا فرقَ في ذلكَ، فالحاكميةُ "نِظامٌ" مؤسَّسٌ عبرَ سُلطةِ اللغةِ.

إنَّ اِختراقَ النِّظامِ أمرٌ بالغُ الصُّعُوبةِ، غالباً ما يُؤدي إلى نَبذِ المُخترِقِ، وإقصائهِ بَعيداً، فمعنى الحياةُ في مجتمعٍ هو الاستسلامُ، والخضوعُ لسلطةِ ذلكَ المجتمعِ، ولِسلطةِ القوانينِ اللغويةِ المُتَّبعةِ فيهِ، وأيُّ اِهتزازٍ في القوانينِ إنما يعني اِهتزازاً في السُّلطةِ (٨) ذاتها، وهو ما تُجاهدُ اللغةُ للبعدِ عنهُ.

قّدْ يَحدثُ أحياناً اِهتزازٌ في سُلطةِ اللغةِ، لكنَّ ذلكَ يُؤدي لِتَكوُّنِ، ونُشوءِ (٩) سُلطةٍ جديدةٍ غالباً، ولنا في مثالِ الرِّسالةِ المُحمَّديةِ خيرَ شاهدٍ على ذلكَ، إذِ الحياةُ العربيةُ سارتْ رَدحاً طويلاً وِفقَ سُلطةٍ لُغويةٍ محددةٍ، ثُمَّ بزغَ الفجرُ الإسلاميُّ بِسُلطةٍ جديدةٍ؛ أزاحتْ جانباً سُلطةَ الجاهليةِ (١٠) المَغروسةِ في نفوسِ أهلها، وكَمْ كان التَّغيُّرُ صعباً؟!!

السياقُ السُّلطويُّ الإسلاميُّ قادَ المرحلةَ الراهنةَ آنذاكَ، لَمْ يستنسِخْ قواعدَ اللعبةِ الجاهليةِ، بل أوجدَ قواعدَ جديدةٍ سارَ الناسُ وِفقهاَ في تنظيمِ جميعِ شؤونِهِم، حيثُ رسمَ طريقَ المؤمنينَ منذُ لحظةِ ميلادهم وصولاً إلى نتيجةِ حَيواتِهم الكليةِ؛ إمَّا الجنةُ (١١)، أو النارُ (١٢).

تَغيَّرتِ المفاهيمُ (١٣)، والمصطلحاتُ في عُرفِ العربيِّ، وذِهنهِ، حيثُ باتتِ القوانينُ القديمةُ غيرُ نافعةٍ في مُمارسةِ الحياةِ الجديدةِ؛ إذْ اِنتفتِ المسلماتُ السابقةُ وحلَّتْ مكانَها مُسلماتٌ جديدةٌ أُشبِعَتْ بروحِ القيمِ السماويةِ العليا.

في الطّرفِ الآخَرِ؛ البعيدِ، وُجدتِ التَّكتُّلاتُ المُناهضَةُ للسُّلطةِ القادمةِ من السماءِ، حيثُ أصرَّتْ على اِتّبَاعِ السُّلطةِ اللغويةِ القديمةِ؛ الجاهليةِ؛ مُسترشِدةً بها، وهذا ما ولَّدَ نَسقاً، و نَسَقاً مضاداً في داخلِ السِّياقِ اللغوي، اِستمرَّ فترةً من الزَّمانِ، ثُمَّ تلاشى النَّسَقُ المضادُ، بعدَ أنْ وَهنتْ قِواهُ، وخارتْ عَزيمتهُ، فآثرَ الاستسلامَ للوافدِ الجديدِ، واِنضمَّ إليهِ، فأصبحَ السياقُ اللغويُّ سياقاً إسلاميًّا مُهيمناً على العقليةِ العربيةِ (١٤)، واِختفى النَّسقُ المضادُ، أو كادَ.

هلْ فعلاً اِختفى النَّسقُ المضادُ؟ سؤالٌ مُحيرٌ بطولِ التاريخِ العربيِّ الطويلِ (١٥)، ولعلَّ أقربَ إجابةٍ عليهِ نُشاهِدُهَا في اِنتقالِ السُّلطةِ من مَرحلةِ الخلافةِ الراشدةِ إلى الملكيةِ الأمويةِ (١٦)؛ إذْ حدثَ اِنتقالٌ للقيمِ الإسلاميةِ السماويةِ، وصَاحبَتْها قيمُ القبيلةِ الجاهليةِ، مما أوجدَ اِزدواجيةً في المفهومِ الذِّهنيِّ (١٧) ؛ المُشَكَّلِ حديثاً؛ آنذاك.

الفصل الأول

اللغة / كيانٌ

إنَّ الإنسانَ لسانٌ (١٨)، حيثُ يُعتبرُ وِعاءً للتاريخِ الثقافي (١٩)، فأعظمُ اِكتشافٍ عرفهُ الإنسانُ على مرِّ العصورِ هو اللغةُ (٢٠)، إذِ التاريخُ الاجتماعي وتاريخُ اللسانِ مُرتبطانِ اِرتباطاً لا ينحلُّ (٢١).

"الذَّاكرةُ الاجتماعيةُ، وتجربةُ الماضيِّ، والتأصُّلُ في التاريخِ ضروريةٌ للوعي الذي يُمكنُ أنْ يَكونَ للمجتمعِ بِذاتهِ. يُساهمُ التاريخُ على نِطاقٍ واسعٍ في تأسيسِ تناسُقِ هذا الوعي، وهو وحدَهُ الذي يُنشئُ الشُّعورَ بالهويةِ، ولا يُمكنُ فصلُ الثقافةِ ذَاتِها عن التاريخِ بما فيها الثقافةُ العلميةُ. إنَّ تاريخَ المجتمعِ وثقافتهِ وعقلياتهِ لا تنفصلُ عن تاريخِ لِسانهِ" (٢٢).

إنَّ اللغةَ أداةٌ ذاتُ أهميةٍ بالغةٍ في الحضارةِ الإنسانيةِ. إنَّها شيءٌ لا غِنى عنهُ، وهي مُلكٌ مُشاعٌ لكلِّ طبقاتِ المجتمعِ من أعلاها إلى أدناها (٢٣)، و لا شكَّ في أنَّها تُشكِّلُ جزءاً من الوعي الثقافيِّ للجماعةِ (٢٤)، حيثُ تُعتبرُ مُكوِّناً للثقافةِ، ولكنَّها "تَكُونُ أساساً لمجموعةِ الظَّواهرِ الثقافيةِ، وقاعدتها، ووسيطها الكلي" (٢٥).

اللغةُ لابدَّ لها من جماعةٍ تَستخدمها حتى تصبحَ لغةً (٢٦)، فالعلاقةُ بينهما تبادليةٌ، اِحتياجُ الجماعةِ إلى لغةٍ أمرٌ ضروري، بل حاسمٌ لها؛ لِتتمكنَ من التواصلِ (٢٧) في ما بينَ أفرادها، وتبقى اللغةُ الحاملَ لِثقافةِ وفكرِ الجماعةِ (٢٨).

من هنا مَنشأُ الاحتياجُ لكليهما؛ اللغةُ والجماعةُ، فاللغةُ "ظاهرةٌ اجتماعيةٌ (٢٩)، وهي أداةٌ للتعبيرِ عمَّا يدورُ في المجتمعِ، فهي تُسجلُ لنا في دِقةٍ، ووضوحِ الصُّورَ المختلفةَ؛ المتعددةَ الوجوهِ لِهذا المجتمعِ؛ من حَضارةٍ ونُظُمٍ وعقائدَ واِتجاهاتٍ فكريةٍ وثقافيةٍ وعلميةٍ وفنيةٍ واِقتصاديةٍ، وغيرَ ذلكَ" (٣٠)، فاللغةُ "هي في كلِّ لحظةٍ بِناءُ حاضرٍ، ونتيجةُ ماضٍ، وهي حركةٌ متطورةٌ" (٣١).

الفردُ الذي يولدُ في محيطٍ لهُ ثقافةٌ خاصةٌ، سيفكرُ بالاعتمادِ على مفرداتٍ تتصلُ بوسيلةِ التَّعبيرِ الشائعةِ في جماعتهِ، وإنَّ طَبيعةَ تَفكِيرهِ بالتالي سَتكونُ متأثرةً بذلكَ، فنحنُ عندما نريدُ دِراسةَ الطريقةِ التي يُفكرُ بها أيُّ شعبٍ من الشُّعوبِ، فإننا نَدرسُ لغةَ هذا الشَّعبِ (٣٢).

اللغةُ "هي عبارةٌ عن نَسَقٍ مِن الإشارَاتِ (٣٣) يُمكنُ أنْ يُستعملَ للتَّواصُلِ، أو بمعنىً آخرَ هي تلكَ القابليةَ التي يَتوفرُ عليها الإنسانُ؛ لِاختراعِ الرُّمُوْزِ بكيفيةٍ مُعتمدةٍ"، أمَّا الفكرُ "فهو ذلكَ الوِعاءُ الذي يحوي التَّصورَ والتخيلَ والذاكرةَ، والذَّكاءَ، ومحرِّكُ الفكرِ هو الذَّكاءُ، والذَّكاءُ عندَ الإنسانِ لا يبلغُ دَرجةَ الكمالِ إلاَّ عِندما يُصبحُ عقلاً، ونشاطاً تجريدياً يَستعملُ المفاهيمَ والتَّصوراتِ بواسطةِ اللغةِ" (٣٤).

"إنَّ أهميةَ اللغةِ لِفهمِ الثقافةِ حقَّ الفهمِ أمرٌ أخذَ يُحسُّ بهِ مَنْ يَعرِضونَ لِدراسةِ الحضاراتِ؛ وذلكَ لأنَّ أيَّ نظامٍ لُغويٍّ تعبيرٌ عنْ نِظامِ إدراكِ جَماعةٍ من الجماعاتِ لِبيئتها ولِنفسها، وإنْ لم يَكنْ هذا التعبيرُ كَامِلاً ومِنْ ثَمَّ فلا يستطيعُ أنْ يفهمَ حضارةً ما حقَّ الفهمِ مَنْ يَجهلُ وَسيلتها اللغويةَ في التعبيرِ" (٣٥)، فاللغةُ "تُعدُّ من أصدقِ الوسائلِ، وأدقها في الكشفِ عن طبيعةِ المجتمعاتِ، وسِماتها الحضاريةِ" (٣٦).

البحثُ في اللغةِ عميقٌ بعمقِ التاريخِ الإنساني المُمتدِّ على هذهِ الأرضِ، فعلى الرُّغمِ من كون الحديثِ عن أوَّليةِ اللغةِ، ومصدرها باتَ من المُحرَّماتِ؛ لِعدمِ الفائدةِ المرجوةِ منهُ، ولأنَّها "لا تَقبلُ حَلاً عَملياً في الحَالةِ الراهنةِ لِمعلوماتنا" (٣٧) إلاَّ أنَّ البعضَ؛ بين وقتٍ وآخرَ، يحاولُ التسللَ لِلإجابةِ على هذا التساؤلَ.

أوَّليةُ اللغةِ، أو مَصدرُها أمرٌ غيرُ مُقلقٍ، فلنْ تُشكِّلَ فارقاً وقتَ الاستعمالِ، بلِ المُعوَّلُ عليهِ قوانينُها الدَّاخليةُ؛ العاملةُ على تنظيمِ حركةِ الكلماتِ في الجملةِ؛ مما يُفرزُ نُصوصاً مُتَنَاسِقَةً تُؤدي الغرضَ المقصودَ مِنها.

لو أردنا تَقريبَ الصُّورةِ قليلاً، فإننا سوفَ نَضربُ مِثالاً من عالمِ الطَّبيعةِ؛ للتوضيحِ لا للتشبيهِ، والتَّمثيلِ: إنَّ "المَجموعةَ الشَّمسيةَ" تَسيرُ على نِظَامٍ مُعينٍ مُنذُ الأزمانِ القديمةِ، فهي "مُنظَّمةٌ" في ذاتِها، ولو عَجزنا نحنُ عن إدراكِ هذا النِّظامِ، فليسَ معنى هذا أنَّها غيرُ مُنظَّمةٍ، ولو اِتضحَ لنا بعدَ زمنٍ أنَّ في وَصفِنا لِهذا النِّظامِ، وَتقريرِنَا لِحقائقهِ خطأٌ أو أخطاءٌ، فليسَ يعني هذا، ولا يَنجُمُ عنهُ بالضَّرورةِ أنَّ نظامها قَدْ أصابهُ الاختلالُ، وَعراهُ الخطأُ. إنَّها شيءٌ مُنظَّمٌ بِطبعهِ، ثُمَّ يأتي عَالِمٌ فَيصفُ هذا النِّظامَ، أو يُحاولُ وَصفهُ حسبَ ما أُوتِيَ من "عِلمٍ" (٣٨).

السؤالُ المتبادِرُ إلى أذهاننا؛ الآنَ: ما اللغةُ؟ (٣٩) وكيفَ أصبحَ لها هذا التَّنظيمُ؟

"اللغةُ نِتاجٌ اِجتماعيٌّ لِملكةِ اللسَانِ، ومَجموعةٍ من التقاليدِ الضروريةِ التي تبنَّاها مجتمعٌ ما؛ لِيُساعدَ أفرادَهُ على مُمارسةِ هذهِ المَلكةِ" (٤٠)، فهي "مَوجودةٌ على هيئةِ ذَخيرةٍ من الانطباعاتِ مخزونةٍ في دِماغِ كُلِّ فردٍ من أفرادِ مُجتمعٍ مُعين: وَيكادُ ذَلكَ يُشبهُ المُعجمَ الذي تُوزعُ مِنهُ نُسخٌ على كُلِّ فردٍ في المجتمعِ، فاللغةُ لها وُجودٌ في كُلِّ فردٍ، ومعَ ذلكَ، فَهي موجودةٌ عندَ المجموعِ" (٤١).

أو هي "أصواتٌ يُعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم" (٤٢)، بحسبِ التعريفِ العربيِّ القديمِ، فاللغةُ والمجتمعُ والحضارةُ ظواهرُ متداخلةٌ مُتكاملةٌ (٤٣)، ولا يُمكنُ بِحالٍ من الأحوالِ الفصلُ بينهم.

تتنوعُ التعريفاتُ، وتتعددُ، فلكلِّ عالمٍ لُغويٍّ تعريفٌ للغةٍ، يتفقُ قليلاً، أو يختلفُ عن الآخرينَ، لكنَّ اللافتَ لِلنظَرِ اِتفاقُهم، أو غَالبيتُهم، على أهميةِ اللغةِ، وصِلتِها بالفردِ، والمجتمعِ.

يَكتسبُ الفردُ لُغتَهُ صَغيراً، فتَنمو مَعهُ؛ وتَزدادُ حَصيلَتُهُ اللغويةُ كُلما اِحتكَّ بالأفرادِ الآخرينَ، ولا تتوقفُ قطٌّ عن النُّمو، إلاَّ بِفَناءِ صاحِبها، ومَوتهِ.

الجانبُ البشريُّ مُعقَّدٌ جداً، تَمايُزاتٌ، اِختلافاتٌ، عِراكاتٌ، رَغباتٌ، أهواءٌ، وهلمَّ جرا، واللغةُ من هذا الجانبِ مُعقَّدةٌ أشدَّ التعقيدِ، فَهي اِنعكاسٌ نَفسيٌّ، وتَلبيةٌ لِرغباتٍ داخليةٍ قَبلَ أيِّ شيءٍ آخرَ (٤٤).

قِياساً على تَعقيدِ النفسِ البشريةِ، نَجدُ المجتمعَ في اِستعمالهِ اللغويِّ أشدَّ تعقيداً من ذلكَ بِكثيرٍ، حيثُ تتضخمُ الذاتُ الفرديةُ، وتتحولُ إلى اِتِّجاهَاتٍ مُتَناوِئَةٍ؛ مُتَعَاكِسَةٍ في النَّظرِ إلى الأمورِ، كما أنَّ النَّظرةَ تتمددُ، وتتسعُ؛ لِتشملَ مُختلفَ الشرائحِ البشريةِ في المجتمعِ.

تَعقيدُ اللغةِ إنما ينصبُّ في كونها "نِظاماً" تتشابكُ العلاقاتُ بينَ وَحداتهِ (٤٥) التي يتكونُ منها، وأهمُّ وِحدةٍ فيهِ؛ الفردُ، ثمَّ المجتمعُ.

يَستحيلُ وُجودُ اللغةِ لَدى فردٍ واحدٍ بَمعزلٍ عن مجموعةٍ بَشريةٍ (٤٦)، ولِذا اِعتُبرتْ "نِظاماً"، فالنِظام لا يُوجدُ إلاَّ في جَماعةٍ ما.

النِّظامُ شيءٌ معقدٌ لا يُمكنُ فَهمهُ إلاَّ بعدَ التأمُّلِ (٤٧) فيهِ، وهذهِ اللغةُ يَستحيلُ إدراكُها كُلُّها إلاَّ بعدَ التأمُّلِ فيها، بل رُبما اِستحالَ إدراكُها كُلُّها حتَّى معَ التأمُّلِ العميقِ؛ إذْ يَبدو من المُحالِ إلمامُ أحدٍ بِجميعِ جوانبِ اللغةِ مهما بلغَ ما بلغَ.

ما النِّظامُ الذي نَتحدثُ عنهُ في اللغةِ؟

تتميزُ اللغةُ بصفةٍ بارزةٍ؛ غريبةٍ، وهي عدمُ اِمتلاكِها كِياناتٍ يُمكنُ رُؤيتَها منذُ البدايةِ، ومع ذلكَ لا نشكُّ أنَّ هذهِ الكياناتِ موجودةٌ، وإنَّ وُجودَها يتوقفُ على عَملِها (٤٨).

لولا اللغةُ أصبحتِ الفكرةُ شيئاً مُبهماً، غيرَ واضحِ المعالِمِ؛ إذْ لا تُوجدُ أفكارٌ يسبقُ اللغةَ وُجودُها (٤٩)، ولا تتميزُ هذهِ الأفكارُ قبلَ ظُهورِ اللغةِ (٥٠)، فالشيءُ؛ الفكرةُ لا يَسبقُ وِجهةَ النَّظرِ، بل إنَّ وِجهةَ النَّظرِ، على ما يبدو هي التي تَخلِقُ الشيءَ؛ الفكرةَ (٥١).

"اللغةُ، لَها كِيانٌ مُوحَّدٌ قائمٌ بِذاتهِ، فهي تَخضعُ لِلتصنيفِ، وهذا التصنيفُ يُضفي نِظاماً طبيعياً على كُتلةٍ غيرِ مُتجانِسةٍ هي اللسانُ" (٥٢).

النَّظامُ اللغويُّ مُتشعبٌ؛ وحيثُ أننا نتعاملُ مع اللغةِ باللغةِ، ونشرحُ اللغةَ باللغةِ، فإنَّ الأمرَ يزدادُ صُعوبةً.

تَحتوي اللغةُ مجموعةً من الأنظِمةِ في دَاخِلها (٥٣)، إذْ تُوجدُ الأنظِمةُ الصوتيةُ، والنحويةُ، والصرفيةُ؛ التي تُعتبرُ الأساسَ لِبقيةِ الأنظِمةِ؛ حيثُ تأتي الأنظِمةُ التواصُليةِ؛ أو الاتصاليةِ بما تَحملُ مَعها من بلاغياتٍ، ولُغوياتٍ، ولسانياتٍ، فاللغةُ من حيثُ هي وَظيفةٌ إنسانيةٌ تتبدَّى في أشكالِ نُظُمٍ إنسانيةٍ اِجتماعيةٍ تُسمى اللغاتُ، أو "اللهجاتُ"، أو أيَّ اِسمٍ آخرَ (٥٤).

إنَّ كُلَّ نِظامٍ يتفرعُ كالشجرةِ إلى أنظِمةٍ صُغرى (٥٥) تُساعدُ في بناءِ الكلمةِ، أو الجُملةِ، أو النَّصِّ، وهي كُلُّها روافدُ الخِطابِ؛ خِطابِ اللغةِ؛ الحاملِ لِلمعنى (٥٦).

اللغةُ، اللِسانُ، الكلامُ (٥٧) مُصطلحاتٌ ثَلاثةٌ مُتكاملةٌ؛ فاللغةُ ظاهرةٌ إنسانيةٌ عامةٌ (٥٨) يَشترِكُ فيها جميعُ الأفرادِ، فهي "كيانٌ عامٌ يَضُمُ النَّشاطَ اللغويَّ الإنسانيَّ، في صُورةِ ثَقافةٍ مَنطوقةٍ، أو مَكتوبةٍ، مُعاصِرةٍ أو مُتوارَثةٍ، وبِعبارةٍ أُخرى: كُلُّ ما يُمكنُ أنْ يَدخُلَ في نِطاقِ النَّشاطِ اللغويِّ من رمزٍ صَوتيٍّ أو كِتابيٍّ، أو إشارةٍ أو اِصطلاحٍ (٥٩).

أمَّا اللغةُ المعينةُ، فَيُنظرُ إليها بِطريقتينِ؛ الأولى: بِاعتبارِها لِساناً، والثانيةُ: بِاعتبارِها كَلاماً، فاللِسانُ يَكونُ في "صُورةٍ مُنظَّمةٍ (٦٠) ذاتِ قَوَاعِدَ وقَوانينَ، وذاتِ وُجودٍ اِجتماعيٍّ" (٦١)، و"جَماعيٍّ، مُستقلةٍ عن الفردِ، وهي مُستودعُ العلاماتِ" كالعربيةِ، وغَيرِها (٦٢)، والكلامُ يَكونُ في "صُورةِ مُمارسةٍ فَرديةٍ مَنطوقةٍ، على أيِّ مُستوىً" (٦٣)، مِما يَعني "تَحقيقاً فِعلياً (عملياً) لأجزاءَ من بنيانِ اللغةِ فهو فَرديٌّ، وآنيٌّ وهو مُعرَّضٌ لِلتبدُّلِ والتَّغيُّرِ على نِطاقٍ وَاسعٍ نَتيجةَ اِختلافِ المُتحدثِينَ ومُستوياتِهم"، "ويُمثلُ الكلامُ نَوعاً من الاختِيارِ أو الابتِكارِ مُقابلَ تَعلُّمِ (اللغةِ) بِطريقةٍ وكَمٍّ لا مَجالَ لِلتحكُّمِ فِيهِ ولا اِختيارٍ" (٦٤).

اِتجاهانِ مُتضادَّانِ؛ الانتِصارُ للغةِ، أو الانتِصارُ للمجتمعِ؛ ثُنائِيةٌ حِواريةٌ طَفَتْ إلى السَّطحِ إزاءَ اللغةِ، فاللغويُّ يُشدِّدُ على "سُلطانِ اللغةِ الذي لا يُقاوَمُ" (٦٥)، والاجتماعيُّ يُؤكدُ على أنَّ المجتمعَ "صاحبُ الفضلِ الأكبرِ عَليها (اللغةِ)؛ لأنَّهُ مَصدرُها الأولُ" (٦٦).

بَينَ الاتِجاهينِ سِماتٌ مُشتركةٌ، فالكلُّ مُتفقٌ على اِجتماعيةِ اللغةِ، إنَّما الاخْتِلافُ واقعٌ في التأثيرِ، وكَمِّيَّتهِ؛ تأثيرُ اللغةِ في المجتمعِ، وتأثيرُ المجتمعِ في اللغةِ، إذْ يبدو من المُحالِ إدراكُ كَميَّةِ التأثيرِ المُتبادلِ بَينهُما، لَكنَّ التأثيرَ واقعٌ أكيدٌ فِيهما.

لِكلِّ فَريقٍ أسبابُهُ الوَجيهةُ في التَّمسكِ برأيِهِ؛ تَبعاً لِنهجهِ الفِكريِّ، وفي هذا الكتابِ مَيلٌ إلى الرأيِّ الأولِ؛ المُنتصرِ للغةِ، دونَ الاعتراضِ، أو التَّشنيعِ، والسُّخريةِ على أصحابِ الرأيِّ الآخَرِ، بلْ رُبَّما أتى يومٌ يَنتصرُ فيهِ الرأيُّ الآخرُ، ويَتبينُ صَوابُهُ وخطأُ القائِلينَ بِغيرِهِ.

للغةِ سُلطانٌ – هَكذا سَنَسيرُ في الآتِيِّ من الحديثِ؛ إتماماً لِما بَدأنا بهِ — لا يُقاومُ، "قادرٌ على أنْ يُحدِّدَ نَظرنا إلى الحَياةِ، ويَرسُمَ طَريقَنا فِيها" (٦٧)، و"أنَّ الإنسانَ ليسَ حُراً فِيما يَأخذُ ويَنبذُ، ويُناصِرُ ويُنافرُ. وإنَّما هو عَبدٌ طَيِّعٌ في يَدِ اللغةِ التي تُعرِّفُهُ الواقِعَ، وتُحدِّدُ مَوقفَهُ من المُشكِلاتِ الاجتماعيةِ المُحيطةِ بهِ من كُلِّ جَانبٍ" (٦٨).

"اللغةُ بِحكمِ طَبيعَتِها العُرفيةِ والقانونيةِ والمُؤسساتيةِ، وبِحكمِ سُلطتِها وقوةِ كَلماتِها، تَكونُ مُلزِمةً لِلأنا والآخَرِ، وبِعبارةٍ أخرَى تُستعملُ لِلإلزامِ والالتِزَامِ، وسَتتجلى لنا سُلطةُ اللغةِ أو سُلطةُ الكلامِ بِشكلٍ أكبرَ عِندما نَقفُ عِندَ بَعضِ المَعاييرِ والمَبادِئِ التي تُعتَمدُ عادةً في التَّصنيفِ والتَّمييزِ بينَ الأفعالِ اللغويةِ" (٦٩)، ولعلَّ أهمَّ المَعاييرِ التَّصنيفيةِ ذلكَ النَّمطُ "الذي يَجعلُ فيهِ المُتكلمُ الواقعَ مُطابقاً لِكلماتهِ" (٧٠).

"إننا نَستعملُ اللغةَ لإنجازِ أفعالٍ عَديدةٍ، ولِتغييرِ الواقعِ أو تَغييرِ عَلاقَتِنا مَعَهُ ولِلتأثيرِ في الغيرِ وفي الأشياءِ، ومِنْ هُنا سُلطتها وسُلطاها، وقوةُ كَلِماهَا" (٧١).

إنَّ "لِلكَلامِ سُلطاناً ما بَعدَهُ سُلطانٌ"، وإنَّ "لِلكلِماتِ قوةً عَظِيمةً لا تُخفى، وتَأثيراً قَوياً لا يُنكرُ" (٧٢).

الكِيانُ الكاملُ مُحتاجٌ إلى رَبطٍ عَميقٍ بِالذَّاكِرةِ البَشَريةِ؛ لِتَعودَ إليهِ وَقتَ اِحتِياجها، فَلا يَكفي العُرفُ في تأسيسِ هَذا الرابطِ، بَل إنَّها تَحتاجُ إلى عَقدٍ مَكتوبٍ يَعودُ إليهِ المُتحدِّثونَ؛ كُلَّما أشكَلَ شيءٌ عَليهِم، ويَتَمثلُ هَذا العقدُ في ما اصطُلِحَ على تَسميتهِ بالـــ "مَعاجمِ".

المعجمُ وِحدةٌ ذَاتُ أهميةٍ بالغةٍ في حِفظِ الكِيانِ وأسُسِهِ، فَالمَراحلُ التاريخيةُ المُتعاقِبةُ أفرزَتْ ألواناً مُتعدِّدةَ التَّغيراتِ اِحتواها الـــ "مُعجمُ"، ونظَّمَها (٧٣)، ثمَّ أعادَ إخراجها وِفقَ أسُسِهِ المَرحليةِ، التي هي أساساً مُتوافقةٌ مَعَ أسُسِهِ الكُليةِ.

"إنَّ تَعدُّدَ المَفاهيمِ التي يَدلُّ عَليها اللفظُ تَعني أنَّ هَذا اللفظَ لَهُ مَعنىً مَركزيٌّ هو (النَّواةُ)، ومَعانٍ هَامشيةٍ ثَانويةٍ اِكتسبها بِفعلِ دَورانهِ المُتجدِّدِ في أنْساقٍ كَلاميةٍ مُختلفةٍ، حَتى أضحَى المَعنى المَركزيُّ يَدورُ في فَلكِ المَعانيِّ الثَّانويةِ التي لا تَفاضُلَ بَينها وأصبحَ طَريقُ رَفعِ اللبسِ فِي الدِّلالةِ يَمرُّ عَبرَ السِّياقِ اللغويِّ أو الخَطابيِّ أو مُعاينةِ المَقامِ الذي يَتمثَّلُ في المُعطياتِ الخَارجيةِ والنَّفسيةِ" (٧٤).

"اللغةُ تُمثِّلُ نِظاماً من الرُّموزِ "الكَلماتِ" (٧٥)، "ويُستوعبُ هَذا النِّظامُ فِي كُتبٍ تَحفظُ المُفرداتِ ودِلالاتِها، هي المَعاجمُ"، "ثُمَّ يُلحظُ في (اللغةِ) الشُّمولَ والاكتمالَ، والاستقرارَ الذي يَخضعُ لِبعضِ التَّبدلاتِ بِبطءٍ وعبرَ أزمانٍ مُتطاولةٍ، وكَذلكَ يَتبينُ دَورَ الجَماعةِ البَشريةِ في تَكوينِ اللغةِ وبِنائِها" (٧٦).

الفصل الثاني

اللغة / كيانٌ ثَقَافِيٌّ

"كَلمةُ ثَقافةٍ (٧٧) Culture ذَاتُها كَلِمةٌ مُضَلِّلةٌ، لأنَّ لها مَعنيين مُحتمَلَين. فَهي عِندَ عَالِمِ الأجْنَاسِ البَشريةِ تَعني الحَصيلةَ الكُليةَ لِلتقاليدِ والعاداتِ، والأعرافِ، وطُرُقِ الحَياةِ لأيِّ طَائفةٍ اِجتماعيةٍ سواءٌ كَانتْ مُتقدِّمةً لِدرجةٍ عَاليةٍ أو مُتأخِّرةٍ... أمَّا كَلمةُ ثَقافةٍ في مَدلولِها التَّقليديِّ فَترتبطُ بالمُمارسةِ المُتقدمةِ لِلحضارةِ التي عَادةً ما تُعبِّرُ عن نَفسها عَن طَريقِ اللغةِ المَكتوبةِ وتَشملُ أشياءَ مِثلَ الأدبِ والشِّعرِ والفَلسَفةِ والعِلمِ والحَصيلةِ الفِكريةِ والمُستوياتِ المُرتفعةِ لِلحياةِ والاتصالِ وحِفظِ الصِّحةِ...

إنَّ ثَقافةَ أيِّ أُمةٍ أو جَماعةٍ تَرتبطُ اِرتباطاً وَثِيقاً بنمطِ لُغتها ما دَامتِ الأخيرةُ تَعكِسُ عَادةً نَشاطاتِ هَذهِ الطَّائفةِ" (٧٨).

" لا شَكَّ أنَّ اللغةَ تُشكِّلُ جُزءاً مِن الوَعيِّ الثَّقافيِّ لِلجماعةِ... فَاللغةُ في الغالبِ مِفتاحٌ لِسُلوكِ الجَماعةِ، وتَسمَحُ بالتنبُّؤِ بمُشكلة رَدِّ فِعلِ الجَماعة تِجاهَ المَواقِفِ المُتنوعةِ" (٧٩).

الثَّقافةُ كَلِمةٌ مُوجزةٌ، إنَّما مَدلولُها مُتشعِّبٌ، ومُتنوعٌ، إنَّها كِيانٌ مُعقدٌ أشدَّ التَّعقيدِ، يَحتملُ اِختِزالاتٍ عَميقةٍ لِأبعَادٍ مُتعدِّدةٍ؛ كالتاريخِ، والتُّراثِ، والسِّياسةِ، والاقتِصادِ، والدِّينِ، والعِمرانِ، والأدبِ بأقسامِهِ، وهَلمَّ جرا.

البَحثُ في كَلمةِ "ثَقافةٍ" يُشابهُ البَحثَ في كَلمةِ "أدبٍ"؛ "كَلمةُ الأدبِ كَلمةٌ موجزةٌ بَسيطةٌ فِي ظَاهرِها ولكنَّ الاقترابَ مِنها لِمُحاولةِ تَعريفها يُبينُ أنَّها مُعقَّدةٌ أشدَّ التعقيدِ" (٨٠).

الأدبُ يُنتجُ تَأثيراً (٨١)، كَذلكَ الثَّقافةُ تُؤثِّرُ تأثيراً مَلموساً في لُغةِ النَّاسِ، وحَياتِهم (٨٢)، والأدبُ يَستعملُ اللغةَ في عَملهِ، بَينما الثَّقافةُ تَشملُ كُلَّ شَيءٍ؛ لُغوياً كانَ أمْ غَيرَ لُغويٍّ (٨٣).

"لا يُشترطُ في الأدبِ أنْ يُضيفَ إلى القارئِ عِلماً جَديداً" (٨٤)، لكنَّ الثَّقافةَ تَعملُ دَوماً على تَوجيهِ الفردِ، وإعطائِهِ وِجهةَ النَّظرِ إلى الأشياءِ؛ إذْ تُعيدُ صِياغةَ فِكرِهِ بناءً على المُعطَياتِ المُتوفرةِ.

هُناكَ "حَيثُ تَنتهي العلومُ بِحقائِقها يَبدأ الأدبُ طَرِيقَهُ بَعدَ ذَلكَ" (٨٥)، أمَّا الثَّقافةُ فهي الحاملُ لِتلكَ الحقائقِ العلميةِ، والقيمِ الاجتماعيةِ (٨٦)، ولا تَكتفي بِذلكَ، بل تَعملُ على اِستخلاصِ النتائجِ مِنها؛ إنَّها بَحثٌ طَويلٌ عَن المَعرفةِ بِكافةِ أشكالها، وفُروعِها.

"إنَّ الأدبَ أشدُّ تَعقيداً مِن العلمِ لأنَّ الإنسانَ مادةُ هَذا الأدبِ ومِحورُهُ كَائنٌ مُعقدٌ أشدَّ التَّعقيدِ" (٨٧)، والثَّقافةُ بِهذا المَفهومِ أشدُّ تَعقيداً مِن الأدبِ، لأنَّ الأدبَ بِنيةٌ مِن بنياتِ الثَّقافةِ المُتعدِّدةِ.

الكِيانُ الثَّقافيُّ كِيانٌ حَيٌّ مُتطورٌ، مُتسعُ الأفُقِ، شُموليٌّ، اِبتكاريٌّ، سُلطويٌّ، مُتغَلغلٌ في طَبقاتِ المُجتمعِ، ذُو تأثيرٍ، وامتدادٍ بِكافةِ النُّظُمِ المَعرفيةِ والاجتماعيةِ.

الثَّقافةُ كُليةٌ، واللغةُ مُفردةٌ من المُفرداتِ المُشكلةِ لَها، ولا نَستطيعُ التأكيدَ؛ هَل إنَّ اللغةَ أهمُّ مُفردةٍ ثَقافيةٍ (٨٨) أمْ لا؟ لَكنها تَحتلُّ مَوقِعاً مُميزاً بالتأكيدِ دَاخلَ المَنظومةِ الثَّقافيةِ المُتكاملةِ.

أبرزُ تَغيُّرٍ حَدَثَ على المُستوى الثَّقافيِّ كَانَ اِنتقالَ الإنسانِ العربيِّ مِن طَورِ الجاهليةِ، ونَمطِها إلى الطَّورِ والنَّمطِ الإسلاميِّ (٨٩)، فَلقدِ اِنتقلتِ الحياةُ العَربيةُ مِن النَّموذجِ الجَاهليِّ إلى النَّموذجِ الإسلاميِّ؛ بِكُلِّ ما يَحمِلُهُ النَّموذجُ الجَديدُ مِن تَغيُّرٍ في القِيمِ، والعاداتِ، والتقاليدِ، والأعرافِ، والأسُسِ الاجتماعيةِ والمَعيشيةِ؛ حَياةٌ جَديدةٌ كُلِّيةً تَمَّتْ صِياغتُها، وتَمَّ اِستخدمُ اللغةِ وَسِيلةً لِفعلِ ذَلكَ التَّغيير.

"لَقدْ عَمِلَ الخِطابُ القُرآنيُّ على تَحديدِ وتَصنيفِ كُلِّ الجَماعاتِ التي اِحتكَّتْ بِها المَسيرةِ النَّبويةِ، وحَدَّدَ مِنها مَوقِفاً ومَنحَها مَوقِعاً دَاخلَ التَّشكِيلةِ الاجتماعيةِ والعَقائِديَّةِ الجَديدةِ. فـ "المُخلَّفونَ" و"المُنافِقونَ" و"المُؤمِنونَ" و"أهلُ الكتابِ" بيهوديِّيهم ونَصرَانيِّيهم، والمُهاجرونَ والأنصَارُ، والكُفَّارُ والمُشركونَ، والأحزابُ...ألخ جَماعاتٌ وفِرقٌ جَعلها القُرآنُ تَتَحرَّكُ دَاخلَ مَسرَحِ الأحداثِ الذي بَناهُ الإسلامُ ضِمنَ التَّصوُّرِ الكُليِّ الذي صَاغهُ لِلآخَرِ" (٩٠).

"الإنسانُ يَحيا بِالعلاماتِ والرُّموزِ التي تَتجمَّعُ بِشكلٍ أو بِآخَرٍ وتَنتَظِمُ في شَكلِ أنساقٍ وأنماطٍ تُسمى أحياناً بِالدينِ أو السِّياسةِ أو الأدبِ أو الاقتِصادِ السِّياسيِّ أو غَيرَ ذَلكَ؛ وكُلُّها تَعتمدُ في آخَرِ الأمرِ على اللغةِ التي هي نَسقُ الإشاراتِ الأساسيِّ" (٩١)، "فالأشياءُ التي تُحِيطُ بنا لَيستْ مُجرَّدَ أشياءٍ أو أحداثٍ ماديةٍ مَحسوسةٍ ومَلموسةٍ ولا تَقومُ بَيننا وبَينها أيُّ عَلاقةٍ أو رَابطةٍ. وإنَّما هي مَوضوعاتٍ وأحداثٍ لَها مَعنىً مُحدَّدٍ" (٩٢).

" إنَّ اللغةَ في جَوهرِها مُتأصِّلةٌ في حقيقةِ الثَّقافةِ ونُظُمِ الحياةِ والعاداتِ عِندَ كُلِّ جَماعةٍ، ولا يُمكنُ إيضاحُ اللغةِ إلاَّ بالرجوعِ الدَّائمِ إلى المُحيطِ الأوسعِ، وهو الظُّروفُ التي يَتِمُّ فِيها النُّطقُ" (٩٣).

السياقُ الشُّموليُّ مُنقسِمٌ ومُتعدِّدٌ (٩٤)، يَحوي أنساقاً (٩٥) مُتجاورةً، وهذه الأنساقُ عِندَ النَّظرِ إليها خَارجَ سِياقها الكُلِّيِّ؛ تُؤلفُ سِياقاً قائِماً بِذاتِه، كَما أنَّهُ يَتفرعُ إلى أنساقٍ مُتجاورةٍ في داخِلِه، فالعمليةُ تأخُذُ طابعاً تَصنيفياً، وهي التي تُعطِي اِنطباعاً بِوجودِ نِظامٍ؛ مُتَّسِقِ الأجزاءِ والكِياناتِ؛ فالكُلِّياتُ تَتفرعُ إلى أجزاءٍ، والأجزاءُ تَنقسِمُ إلى أجزاءٍ أصغرَ (٩٦)، وهَكذا، إلى أنْ نَصِلَ إلى الوِحدةِ الصُّغرى؛ التي اِختُلِفَ في تَحديدِها؛ هَلْ هي الجُملةُ (٩٧) أم الكَلِمةُ أم "كُلُّ ما يقومُ بِدورِ العلامةِ أو الرمزِ سَواءٌ أكانَ لُغوياً أم غيرَ لُغويٍّ" (٩٨)؟

إنَّ النِّظامَ مُتشابكُ العلاقاتِ بَينَ وَحداتِهِ (٩٩)، والتَّفاعُلُ سِمةٌ مُشتركةٌ بَينَ الوَحداتِ، فالأنظِمةُ، أو الأنساقُ الاجتماعيةُ تَتفاعلُ في ما بَينَها، وكَذلِكَ تَتفاعلُ مع أنساقٍ مُتجاورةٍ (١٠٠)؛ كَنَسقِ اللغةِ.

دِراسةُ نَسقٍ ما تُتِيحُ لَنا اِكتِشافَ عَلاقاتِها بالأنساقِ الأخرَى، فَنسقٌ كَنَسقِ "المُوضةِ" (١٠١) يَتعالقُ معَ حَياةِ الأفرادِ، فَيُمكنُ دِراستهُ اِجتماعياً، كَما يَتعالقُ معَ المَخزونِ التاريخيِّ الموروثِ حَول الجَمالِ، فَيُمكنُ دِراستُهُ من مَنظورٍ جَماليٍّ، أو تاريخيٍّ.

لِلغةِ أيضاً نَصيبٌ من الارتباطِ بالمُوضَةِ، حَيثُ الكَلماتُ المُستعملةُ فيهِ تَختَلِفُ عن الكَلماتِ المُستعملةِ في نَسقٍ آخرَ؛ كَنسقِ "الجنازَةِ"، فَيتحولُ البَحثُ لُغوياً دِلالياً، أو رَمزياً باعتبارِهِ عَلامةً (١٠٢) من العلاماتِ.

كَذلكَ عِلمُ النَّفسِ يَهتمُّ بِالمُوضَةِ وتأثيراتها النَّفسيةِ على الفَردِ، كَما يُمكنُ دِراسةُ نَسقِ المُوضَةِ دِراسةً مُقارنةً بَينَ الشُّعوبِ؛ إذْ لِكُلِّ شَعبٍ نَظرةٌ مُختلِفةٌ إلى مَقاييسِ الجَمالِ.

هَذهِ بَعضُ اِرتباطاتِ نَسقِ المُوضَةِ، وهي كَاشِفةٌ عن تَفاعلٍ كَبيرٍ بَينَ مَجموعةٍ من الأنساقِ المُتجاورةِ، التي تَعملُ على تَشكيلِ سِياقٍ كُلِّيٍّ؛ هو سِياقُ الثَّقافةِ (١٠٣).

تَرتبطُ الرُّموزُ بالسِّياقِ الثَّقافِيِّ، وتَختلفُ دَرجةُ تأثيرِها بِمَدى اِرتباطِ الإنسانِ بِها، ولَعلَّ أقوَى الرُّموزِ تأثيراً تَلكَ المُتعلِّقةِ بالدِّينِ؛ حَيثُ تَحتلُّ أهميةً كُبرى في حَياتهِ، وأيُّ اِعتِداءٍ عَليها، إنَّما هو اِعتِداءٌ، بِشكلٍ غَيرِ مُباشرٍ عَليهِ.

تَتنوعُ الرُّموزُ الدِّينيةُ، وتأخذُ صِوراً مُتعدِّدةً، فمِن الإنسانِ إلى الكِتابِ (١٠٤)، والمَسجدِ، فَالهلالِ (١٠٥)؛ الذي صَارَ شِعاراً إسلامياً، إلى القَولِ المَنقولِ المُتوارثِ من صَحيحِ الحَديثِ (١٠٦)، بلْ حَتَّى ضَعيفهِ (١٠٧) يَحتلُّ أهمِّيةً عَظِيمةً لا يَجوزُ المَساسُ بِقُدسيتهِ.

الثَّقافةُ العَربيةُ الإسلاميةُ قَامتْ على أساسِ التَّقديسِ لِكلِّ ما يَتصلُ بِالدِّينِ (١٠٨)، ولِذا نَجدُ مَظاهِرَ الاحتِفاءِ أينما وُجِدَ ما يُمثِّلُ الدِّينَ.

أيضاً، تُوجدُ رُموزٌ ذَاتُ تأثيرٍ قَويٍّ رُغمَ عَدمِ اِمتِلاكها رَصيداً دِينياً، مِثلَ "النُّقودِ" (١٠٩) التي تُعتبرُ "تَجريداتٍ بَالغةَ القوةِ" (١١٠)؛ لِامتِلاكِها تأثيراً مُباشِراً، ومَلموساً في حَياةِ الأفرادِ، حَيثُ "تَحكمُ حَيواتِنا عن طَريقِ الذينَ يُسيئونَ اِستعمالَها، أيْ الذينَ يَبرعونَ في اِستعمالِها اِستعمالاتٍ مُضَلِّلةٍ" (١١١).

الحَديثُ عن الأنساقِ؛ كَنَسقِ المُوضَةِ، أو عن الرُّموزِ؛ كَالنُّقودِ، هو حَديثٌ عن "مُركَّباتٍ ثَقافيةٍ" (١١٢) نُمارسُ حَيواتِنا من خِلالها وبِها وَفِيها وعَبرها؛ إنَّها كُلُّ الأشياءِ التي تُحيطُ بنا، كَما أنَّها كُلُّ الأشياءِ المَوجودةِ في أذهاننا، فالكِيانُ الثَّقافيُّ شُموليٌّ سُلطويٌّ.

تَعملُ اللغةُ على اِختزالِ الأنساقِ في عَلاماتٍ تُمثِّلُها، تَتخذُ شَكلاً رَمزياً، يُشيرُ إلى النَّسقِ وبهِ يَتمُّ التَّداولُ بَينَ الأفرادِ، فالإسلامُ (١١٣) مُفردةٌ لَفظيةٌ اِختزلتِ الرِّسالةَ النَّبويةَ بأجمَعِها، والمُوضَةُ اِختزلتِ المَعاييرَ الجَماليةَ لِلمجتمعِ، والنُّقودُ اِختزلتِ السُّلطةَ في دَاخلِها.

كُلُّ "المُركباتِ الثَّقافيةِ" التي اِختَزلتها اللغةُ، صَارَ لها وُجودٌ مُجتمعيٌّ؛ لأنَّ اللغةَ لا تَنفصلُ عن المُجتمعِ، بَل إنَّ المُجتمعَ بِذاتهِ يَتحوَّلُ إلى "مُركَّبٍ ثَقافيٍّ" بَعدَ مُرورِ أعوامٍ طَويلةٍ؛ طَويلةٍ جداً.

بَعدَ تَحويلِ الأنساقِ، والرُّموزِ إلى مُركَّباتٍ ثَقافيةٍ، بِواسطةِ اللغةِ؛ إذْ تَعملُ على تَدوينِ "التُّراثِ الثَّقافيِّ، وتَحتفظُ بِهِ جِيلاً بَعدَ جيلٍ" (١١٤)، تَبدأُ مَرحلةٌ جَديدةٌ؛ هي عَمليةُ الإنتاجِ؛ إنتاجِ دِلالةٍ تَتلاءَمُ مَعَ حَياةِ الأفرادِ المُتعاملينَ بِاللغةِ؛ حَيثُ تُمارِسُ سُلطتها في إعطائِهم النَّمطَ المَرغوبَ.

يَتحولُ "المُركَّبُ الثَّقافيُّ" بَعدَ اِختِزالهِ إلى "مُنتجٍ ثَقافيٍّ"، تَمدّ اللغةُ أذرُعَها حَولهُ، حَيثُ تَحتويهِ؛ لِكونهِ "قِيمةً" لُغويةً في الأساسِ، ثُمَّ اِجتماعيةً بَعدَ ذَلكَ.

أبرزُ، بَلْ أضخَمُ "مُنتجٍ ثَقافيٍّ" عَربيٍّ؛ هو الإسلامُ؛ لأنَّهُ اِختزلَ تُراثَ، وفِكرَ الأمةِ الإسلاميةِ، التي هي في الأساسِ خَليطٌ شَعبيٌّ، وأُمَميٌّ مُختلِفٌ (١١٥).

لَم تَعُدْ لِلقبيلةِ في المُنتجِ الإسلاميِّ أهميةٌ مِثلما كَانت في المُركَّبِ الجاهليِّ؛ إذْ كانت قِيمةُ القَبيلةِ آنذاكَ عاليةٌ جداً، بل رُبَّما كَانتْ الأعلى قِيمةً، بَينما في الإسلامِ اِحتفظَتْ بِبعضِ قِيمتها (١١٦)؛ لَمْ تَغِب تَماماً عن المَشهدِ الثَّقافيِّ، لَكنها أيضاً، لَمْ تَعدْ بِذاكَ التأثيرِ.

الإسلامُ في بِدءِ أمرِهِ كانَ نَسقاً نَشازاً في السِّياقِ اللغويِّ الثّقافيِّ العَربِيِّ؛ فالسِّياقُ الجَاهليُّ يَتميزُ بالطَّبقيةِ، وتَقسيمِ الأفرادِ إلى سَادةٍ وعَبيدٍ (١١٧)، كَما وُجِدَتْ حَساسيةٌ شَديدةٌ تِجَاهَ الأجْنَاسِ البَشريةِ المُنتَميةِ إلى سِياقاتٍ أُخرى؛ مُخالفةٍ؛ لا تَنتمي إلى السِّياقِ اللغويِّ العَربِيِّ.

الطَّبقيةُ الجَاهليةُ لَزِمتها، وسَاوَقتْها طَبقيةٌ لُغويةٌ، فألفاظُ السَّادةِ تَختلِفُ عن ألفاظِ العبيدِ، وسُلوكِياتُ السَّادةِ مُغَايرةٌ لِسُلوكياتِ العبيدِ.

إنَّ التَّفاوتَ بينَ طَبقاتِ المُجتمعِ كَثِيراً مَا يُؤدِّي إلى "نُشُوءِ لُغاتٍ سِرِّيةٍ عَاميةٍ، هي بِنَوعٍ خَاصٍ لُغةُ الأشقياءِ والخَارجينَ على القانونِ مِمَّنْ يَعيشونَ في خَوفٍ دَائمٍ مِن سَطوتِهِ، لأنَّهم يَحيونَ حَياةً على هَامشِ المُجتمعِ" (١١٨).

هَذهِ الطَّبقيةُ بِذرةٌ أُولى في طَريقِ بناءِ النَّسقِ الجَديدِ، فالمُؤكدُ "أنَّ التَّغيُّرَ الاجتماعيَّ في بِيئةٍ من البيئاتِ يَتبعُهُ تَغيُّرٌ في شَيءٍ من اللغةِ المُستعملةِ في تِلكَ البِيئةِ" (١١٩).

من أسبابِ تَغيُّرِ المَعنى "التَّطورُ الاجتماعيُّ والثَّقافيُّ" (١٢٠)، الذي "قَدْ يَكونُ في شَكلِ اِتفاقِ مَجموعةٍ فَرعيةٍ ذَاتِ ثَقافةٍ مُختلفةٍ على اِستخدامِ ألفَاظٍ مُعينةٍ في دِلالاتٍ تُحدِّدُها تَتماشَى مَعَ الأشياءِ والتَّجارُبِ والمَفاهيمِ المُلائِمةِ لِمهنِها أو ثَقافَتِها، وقَدْ يُؤدِّي هَذا إلى نُشُوءِ لُغةٍ خَاصةٍ" (١٢١).

"إنَّهُ لَمِن لَمعروفِ أنَّ الثَّقافةَ الرَّسميةَ السَّائِدةِ تَتواطَأُ مَعَ السُّلطةِ، وتُستَخدمُ من قِبلِ هَذهِ الأخيرةِ في تَسويغِ أفعَالِها فِيما تُطوِّرُ الثَّقافاتُ المَحليةُ أنواعاً مُختلِفةٍ مِن الرَّفضِ وعَدَمِ القَبُولِ" (١٢٢).

السِّياقُ الثَّقافيُّ السائِدُ الآنَ هو السِّياق الإسلاميُّ المُتَفَاعِلُ معَ السُّلطةِ (١٢٣)؛ حَيثُ يَسيرانِ جَنباً إلى جَنبٍ، ولا يُمكنُ الفَصلُ بَينهما، تَعملُ السُّلطةُ على التَّنظِيمِ المُؤسَّسِيِّ لِحياةِ النَّاسِ، بِتسويغٍ مِن السِّياقِ الإسلاميِّ.

إنَّ مَشروعيةَ النِّظامِ المُؤسَّسِيِّ مُعتمِدةٌ في بَقائِها، واِستمرارها على اِرتباطِها بالسِّياقِ الإسلاميِّ (١٢٤)، والفَصلُ بَينهما؛ يؤدِّي إلى سُقُوطِ مَشروعيةِ المُؤسَّسَةِ، لِذا نَجِدُ المُؤسَّسَةَ "الدِّينيةَ" تُحاربُ أيَّ سِياقٍ وَافدٍ؛ جَديدٍ (١٢٥)؛ مَهما كَانَ هَذا الوَافِدُ، وفي حالِ عَجزها عن مُواجَهتهِ، تَبدأُ في إطلاقِ ألفاظٍ "شَرعيةٍ" عَليهِ؛ مِن قَبيلِ "الشَّرِ، والخَطيئةِ، والإثمِ (١٢٦)"؛ لِترعِ المَشروعيةِ عنهُ (١٢٧)، أو تَمهيداً لإدخالهِ ضِمنَ السِّياقِ "الدِّينيِّ"، وإكسابهِ مَشروعيةً مَحدودةً، ومَشروطةً؛ كُلُّ ذَلكَ، مِن أجلِ اِستمرارِ النِّظامِ، واِستقرارهِ.

الفصل الثالث

اللغة / خِطَابٌ

بَعدَ التَّأسيسِ لِلنظامِ الثّقافيِّ، واعتبارِ اللغةِ نَسقاً من أنسَاقهِ المُتفرعةِ، ولَعلَّهُ أهمُّ نَسقٍ ثَقافيٍّ؛ لاحتِلالهِ أهميةً قُصوى في بناءِ حَياةِ المُجتمعاتِ، ووَسيلةً أساسيةً من وَسائِلِ الاتصالِ بينَ أفرادِ الجَماعةِ الإنسانيةِ.

نَصلُ إلى تَأسيسِ مَنطوقِ الثّقافةِ، وبِخاصةٍ اللغويةِ مِنها؛ حَيثُ هي النَّسقُ الأهمُّ، من بَينِ الأنظمةِ الاتصاليةِ، والتواصليةِ (١٢٨) البَشريةِ (١٢٩).

ما "الخِطابُ"، وكَيفَ تمَّ تأسيسهُ؟ وكيفَ يَسيرُ في تَوجيهِ اللغةِ، والثّقافةِ؟ ثُمَّ ما عَلاقتهُ بالأنظمةِ غَيرِ اللغويةِ؟

هَذهِ بَعضُ الأسئلةِ الدَّائرةِ حَولَ الخِطابِ، سَيتمُّ الإجابةُ عَليها، وعَلى غَيرها أثناءَ تَناولِنا إياها بالحديثِ.

الخِطابُ (١٣٠) هو "نَسَقُ إمكانُ الوصولِ إلى المَعرفةِ" (١٣١)، فَهو يَشملُ "كُلَّ أشكَالِ الحَياةِ الثّقافيةِ وقِطاعاتِها" (١٣٢)؛ حَيثُ تَتعدَّدُ الخِطاباتُ، وتَتنوعُ؛ مِثلَ "الخِطابِ السِّياسيِّ أو الأدَبيِّ أو الدِّينيِّ أو الإعلاميِّ" (١٣٣)، وغَيرها، فكُلُّ أنواعِ الخِطابِ تَنضَوي في السِّياقِ الشُّموليِّ، أو الخِطابِ الأساسيِّ؛ خِطابِ الثّقافةِ.

جَميعُ الأنساقِ الثّقافيةِ تَهدِفُ إلى إيصالِ رِسالةٍ مَا، ولِكي تَقومَ بعملِها لا بُدَّ من تَوفُّرِ عُنصرينِ؛ هما: المُرسِلُ والمُستَقبِلُ (١٣٤)، فَالخِطابُ هو الرِّسالةُ (١٣٥) المُرادُ إيصالُها (١٣٦).

لا تَتحقّقُ عَناصِرُ الرِّسالةِ إلاّ في مُجتمعٍ حَيٍّ؛ يَتفاعلُ أفرادُهُ في مَا بَينهم، كَما أنَّها لا تَختصُّ بالكائِنِ البَشريِّ وَحدَهُ، بَل هي شَيءٌ طَبيعيٌّ تُمارِسُهُ بَقيةُ الكَائِناتِ بعفويةٍ، وتِلقائيةٍ (١٣٧).

لُغةُ الطَّيرِ تَختلِفُ عن لُغةِ النَّملِ، وكَذلكَ تَختلِفُ اللغتانِ عن لُغةِ بَقيةِ الكَائِناتِ، حتى الكَائِناتِ التي لا قُدرةَ لَديها على النُّطقِ، أو تُواجِهُ صُعوبةً فِيهِ، فإنَّ "الحركاتِ الجسميةِ قَدْ تَحلُّ مَحلَّ الكَلامِ أو أنْ تَكونَ مُتمِّماً فاعِلاً لَهُ في تأكيدِ الكلامِ أو زِيادتهِ وُضوحاً" (١٣٨).

اللغةُ ذَاتُ وَظيفةٍ إبلاغيةٍ؛ تَهدِفُ إلى إيصالِ فِكرةٍ ما، ونَقلِها من طَرَفِ الْمُخاطِبِ إلى ناحيةِ الْمُخَاطَبِ، عَمليةُ نَقلِ الفِكرةِ تَحتاجُ إلى مَرجعيةٍ ثَقافيةٍ مُتَّفَقٍ عَليها بَينَ أطرافِ العَمليةِ اللغويةِ، وهم؛ أهلُ اللغةِ الواحدةِ (١٣٩).

الإبلاغُ وَظيفةٌ لُغويةٌ، وبالمِثلِ؛ هي وَظيفةٌ مِن وَظائِفِ الخِطابِ (١٤٠)، لكنَّ الخِطابَ لا يَقتَصِرُ على الوَظيفةِ الإبلاغيةِ، بَل يُمارِسُ عَمَلَهُ في بِنيةٍ أعمقَ، فالمَضمونُ، أو دِلالةُ الكلامِ، أو المَقصودُ مِنهُ يَصِلُ بِعدَّةِ طُرُقٍ؛ مِن بينِها اللغةُ (١٤١).

أيضاً، الخِطابُ ليسَ دِلالةَ الكَلِماتِ، أو الجُمَلِ، أو النَّصِّ، بَل هو يَتجاوزُ هَذهِ الآلياتِ إلى ما هو أعمقُ مِنها، لَكنَّهُ يَعتبِرها جزءًا أسَاسِيًّا يَعتمِدُ عَليهِ (١٤٢)؛لِبناءِ هَدفِهِ الكُلِّيِّ؛ الْمُنصَبِّ على تأسيسِ مَنطوقِ الثَّقافةِ الحَاليةِ لِجماعةٍ لُغويةٍ تَتخذُ لُغةً مُشتركةً تَتعاملُ بِها.

فِي الْمُجتمعِ الواحدِ قَد تَتعدَّدُ الخِطاباتُ، بَل رُبما تَصارعَتْ في ما بَينها، خَاصةً تِلك الفِئاتُ المَحرومةُ مِن مُمارسةِ حَقِّها في الخِطابِ؛ حَيثُ يَنشأُ صِراعٌ (١٤٣) "بَينَ الجَماعاتِ أو الفِئاتِ التي تَدَّعِي لِنفسِها حَقَّ الخِطابِ وتِلكَ التي كَانتْ مَحرومةً مِن مُمارسةِ ذَلكَ الحَقِّ أيْ التي تُحرمُ مِن حَقِّ خِطابِها هي ذَاتُها" (١٤٤).

الفِئاتُ المَحرومةُ، غَالباً ما تُؤسِّسُ نَسقَها الخَاصَّ بِها، مَعَ تَأسيسِ النَّسقِ يَتأسَّسُ الخِطابُ (١٤٥)، إذْ يَأتِي في صُورةٍ مُناوِئةٍ لِخطابِ السِّياقِ الذي تَفرعَ عَنهُ، ورُبَّما تَجاورَتِ الفِئتانِ جُغرافِيًّا، لَكنَّ خِطابَهُما يَبقى مُختلِفاً، بَل مُتعارِضاً، ما لَم يَحدُثْ تَقاربٌ بَينهما.

اِختلافُ الأنساقِ يُؤدِّي لِلصراعِ؛ الذي يَتخذُ أشكالاً مُتنوعةً، قَدْ يَمتدُّ الصِّراعُ زَمناً، تَصِلُ الحِدَّةُ فِيهِ إلى سَفكِ الدِّماءِ (وهو أخطر ما في النَّسقيةِ) (١٤٦) ، إلى أنْ يَصِلَ الصِّراعُ مَرحَلتَهُ الأخيرةَ بِانتصارِ نَسقٍ على آخَرٍ، وضَمِّهِ إليهِ، أو إقصائِهِ.

لَيستْ نِهايةُ النَّسقِ بهزيمتهِ، بَلْ يَظلُّ كَامناً، يَتحَيَّنُ الفُرصَ لِلانقِضَاضِ على النَّسقِ المُنتَصِرِ "حَتَّى لَيكونَ أقوى مِن ذِيْ قَبلٍ وكَأنَّهُ يَنتَقِمُ لِما فَاتهُ مِن مَفعوليةٍ في نُفُوسِ البَشَرِ" (١٤٧).

"ولَو أخذْنَا بالأمثِلةِ التَّاريخيةِ حَولَ صِراعِ الإسلامِ مَعَ القَبيلةِ وكَونهِ صِراعاً مَصيرياً لَوجدنَا مَسألةَ الخِلافةِ حِينما تَحوَّلتْ إلى دِمشقَ هو المَثلُ الأكثَرُ نُصُوعاً حَيثُ تَلبَّسَتِ الخِلافةُ بِثوبِ الإسلامِ ولَكنَّ الجَسَدَ الذي ظَلَّ يَعملُ من تَحتِ الثَّوبِ كَانَ قَبائِلياً" (١٤٨).

الإسلامُ "المُنتَجُ الثَّقافيُّ" العربيُّ، أو النَّسقُ (١٤٩) النَّاشِئُ في الثَّقافةِ العَربيةِ، في صِراعٍ مَريرٍ مَعَ "النَّسقِ" القَبيلةِ، اِستمرَّ الصِّراعُ زَمناً، ثُمَّ اِنتهى بِانضِمامِ "النَّسقِ" القَبيلةِ إلى الإسلامِ "المُنتَجِ الثَّقافيِّ" العربيِّ، واِعتبارهِ مُفردةً، وقِيمةً مِن مُفردَاتٍ، وقِيَمِ "المُركَّبِ الثَّقافيِّ" الإسلاميِّ.

اِنتصارُ النَّسقِ على النَّسقِ؛ الإسلامِ على القَبيلةِ، مَهَّدَ الطَّريقَ أمامَ النَّسقِ المَهزومِ لِينضَويَ دَاخلَ النَّسقِ المُنتصرِ، لَكنَّ ذَلكَ لَمْ يَعنِ اِنتهاءَ النَّسقِ المُنهزم، بَل اِستمرَّ خِطابُهُ في الحَياةِ، وعِندما وَجدَ الفُرصةَ سَانِحةً أمامهُ، اِنقضَّ على النَّسقِ المُنتصرِ، وأثَّرَ فِيهِ تَأثيراً بَليغاً، وكَأنَّهُ يَنتقمُ مِنهُ شَرَّ اِنتقامٍ.

النَّسقانِ يَنتميانِ إلى السِّياقِ العَربيِّ آنذاكَ، يَمتلكُ كُلُّ نَسقٍ خِطاباً مُستقلاً عَن النَّسقِ الآخَرِ، يَبدأُ التَّعارضُ بَينهما نَتيجةَ تَواجُدِهما في بيئةٍ جُغرافيةٍ ولُغويةٍ وَاحِدةٍ، فَيَحدُثُ الصِّراعُ؛ صِراعُ الأنساقِ المُتعارِضَةِ؛ الذي يَنتهي بِانتصارِ أحَدِهما، واِنهزامِ الآخَرَ، لَكنَّ هَزيمةَ النَّسقِ لا تَعني هَزيمةَ خِطابهِ؛ إذْ لَهُ أنصارٌ، ومُؤيدونَ لا يَزالونَ يَتَّبعونَ تَعاليمَهُ، وشَرَائِعَهُ، وهَذا ما أدَّى إلى بُروُزهِ حِينما صَارتِ الفُرصةُ مُؤاتيةً.

الخِطابُ عَملٌ مُستمرٌ، لا يَتوقفُ لَحظةً وَاحِدةً، طَالما بَقي أفرادٌ مُنتمونَ إلى النَّسقِ، ومُخلِصُونَ لَهُ، فالخِطابُ يُولدُ مَعَ مِيلادِ النَّسقِ، ورُبَّما تَأخرَ قَليلاً في البُروزِ؛ طَالما لا عَوائِقَ أمامَهُ، ومَعَ أوَّلِ اِحتِكاكٍ بَينَهُ وبَينَ نَسقٍ آخَرَ، يَبدو صَوتُهُ الخَافِتُ الضَّعيفُ؛ غَيرُ المَسموعِ، قَوياً؛ بَل قَوياً جداً، وشَرِساً، يُدافِعُ عَن نَسقِهِ (١٥٠) عَبرَ الوسائِلِ المُتاحةِ، أو يَخترعُ وَسائلَ جَديدةً، إذا دَعتِ الحَاجةُ إلى ذَلكَ.

لا يُمكنُ تَفسيرُ الصِّراعِ الشَّرسِ بَينَ الأنساقِ إلاَّ بِفهمِ الأساسِ الذي قَامتْ عَليهِ، وأسَاسُ الصِّراعِ يَدورُ حَولَ "الهَويةِ"، حَيثُ "هي عَلامةٌ من عَلاماتِ النَّسقِ الثَّقافيِّ" (١٥١)، فَغِيابُ "الهَويةِ" غِيابٌ تَامٌ، ومَحوٌ لِلنَّسقِ من الوجودِ.

عَلى هَذا الأساسِ "الهَويَّةِ" يَنبني خِطابُ النَّسقِ الدِّفاعيِّ، فَكُلَّما اِزدادَ الضَّغطُ على النَّسقِ؛ لِمَحوِهِ، اِزدادتْ شَراستُهُ في الدِّفاعِ.

يَقومُ خِطابُ النَّسقِ بِعَملينِ مُهمينِ؛ الأولُ: إبرازُ "الهَويَّةِ" وتَأكِيدُها، وإكسابُها المَشروعيةَ اللازِمةَ، والثَّانيُ: الدِّفاعُ عن "الهَويَّةِ" بِشتَّى الطُّرُقِ والوَسائِلِ.

الثَّقافةُ العَربيةُ اِحتوتْ "ثَلاثَةَ أنساقٍ مُتقاطِعةٍ هي:

١- نَسقُ الفَضائِلِ الدِّينيةِ.

٢- نَسقُ الفَضائِلِ القَبَليةِ الثَّقافيَّةِ.

٣- نَسقٌ مُتَشَعْرِنٌ (قَبَائِليٌّ)" (١٥٢).

إذا كَانَ النَّسقُ الأولُ دِينياً، يَستمِدُّ غِطاءَهُ الخِطابِيَّ من الإسلامِ، فإنَّ النَّسقَ الثَّانيَ قَبَلياً، اِستمدَّ خِطابَهُ من الثَّقافةِ العَربيةِ، فَتقاطعَ مع النَّسقِ الأولِ؛ الدِّينيِّ (١٥٣)، ودَعمهُ؛ لِكونِهما يَحمِلانِ هَماً مُشتركاً؛ هَمُّ الفَردِ العَربيِّ.

النَّسقُ الثَالِثُ؛ القَبائِليُّ، وُلِدَ من رَحمِ القَبيلةِ، واِتخذَ لِنفسهِ خِطاباً مُضاداً لِلنَّسقِ الثَّانيِّ؛ نَسقِ الفَضائِلِ القَبَلِيَّةِ الثَّقافيَّةِ، بَل عَمِلَ على مُعارضَتِهِ، والانتقاصِ مِنهُ.

رُغمَ أنَّ النَّسقين؛ الثَّانيَ والثَالثَ، وُلِدَا مِن رَحمِ القَبيلةِ نَفسِها، إلاَّ أنَّهما اِتَّخذا طَريقينِ مُختلفينِ في اِستلهامِ التُّراثِ الثَّقافيِّ السَّائِدِ، فَحينَ اِتَّخذَ النَّسقُ الثَّانيُ لِنفسهِ خِطابَ الفَضائِلِ، عَارضَهُ النَّسقُ الثَّالثُ مُتَّخِذاً لِنفسهِ خِطابَ الرَّذائِلِ.

اِنْحِرافُ خِطابِ النَّسقِ القَبائِليِّ وَاجَهَهُ خِطابٌ دِينيٌّ، وخِطابٌ قَبليٌّ، فَحدثَ الصِّراعُ بَينَ الأنساقِ وخِطاباتِها، اِنتهى الصِّراعُ بِهزيمةِ النَّسقِ القَبائِلِيِّ، وبَقاءِ خِطابِهِ كَامِناً.

كُمُونُ الخِطابِ لا يَعنِي اِنتهاءَهُ، بَلْ تأجيلٌ لِلمواجهةِ؛ حَيثُ يَبقى مُنتظِراً اللحظةَ المُناسِبةَ لِإظهارِ نَفسهِ من جَديدٍ.

في ظِلِّ الصِّراعِ بَينَ الأنساقِ وخِطاباتِها قَد نَتَفَهَّمُ عِبارةً اِستنتاجيةً تَأتِي في نِهايةِ البَحثِ، تَصِفُ النَّسقَ بِأنَّهُ "إذا دَخلَ شَيئاً شَانهُ وحَوَّلَهُ من الصَّوابِ إلى الخَطأِ ومِن الحِيادِ والمَوضُوعيةِ إلى الانْحيازِ" (١٥٤)، لَكنَّنا لا نَتفقُ مَعها تَمامَ الاتِّفاقِ، فإذا اِنطبقتِ النَّتيجةُ على النَّسقِ الثَّالثِ وخِطابهِ، فَمُحالٌ أنْ تَنطبقَ على النَّسقِ الأولِ وخِطابهِ.

مِثلما يُوجدُ خِطابٌ نَسقيٌّ مُعارِضٌ، فَكَذلكَ يُوجدُ خِطابٌ نَسقيٌّ مُهادِنٌ، تَتعدَّدُ الخِطاباتُ، وتَتنوَّعُ، وتَتقاطَعُ، لَكنَّ ذَلكَ لا يُؤدِّي بِالضَّرورةِ إلى الصِّراعِ الأكيدِ فيما بَينها، فَكثيرٌ مِن الأنساقِ تَعايشتْ مَعاً؛ في ظِلِّ لُغةٍ وجُغرافيةٍ وَاحِدةٍ، أو مُتقارِبةٍ، دُونَ أنْ يَحدُثَ بَينها أيَّ نَوعٍ مِن أنواعِ الصِّراعاتِ، والسَّببُ يَعودُ إلى شُعُورِها بِالطَّمأنينةِ تِجاهَ هَويتِها.

أدَبياً وُجدتْ أنماطٌ من الخِطابِ، دُعِيتْ باسمِ " الأجناسِ الأدبيةِ" (١٥٥)، تَعايَشتْ في ما بَينها، وتَقاطَعتْ، دُونَ لُجوءِ أحدِها إلى إلغاءِ الآخَرِ، ومَحوِ هَويتِهِ؛ حَيثُ ظَلَّ الأساسُ في التَّعاملِ إبقاءُ الهَويِّةِ، وتَعزيزُها، الأمرُ الذي مَكَّنها من التَّعايشِ، بَلْ دَعمِ الخِطابِ الكُليِّ، عَبرَ خِطابَاتِها الفَرديَّةِ.

بما أنَّ الأدبَ نِتاجٌ اِجتماعيٌّ، فَالخِطاباتُ التي أنتجها إنَّما هي تَنويعاتٌ لِلخِطاباتِ الاجتماعيَّةِ، "فكلُّ مُجتمعٍ وكُلُّ ثَقافةٍ لَها مَجموعةٌ مِن أنماطِ الخِطاباتِ التي يُمكنُ تَحديدُها. ولَيسَ هُناكَ مُبررٌ لإدانةِ أحدِها باسمِ الآخَرِ... لَكنَّ هَذا لا يَعني أنَّ كُلَّ خِطابٍ يَظلُّ فَردياً ولا يَتعادلُ مَعَ أيِّ خِطابٍ آخَرَ. فَبَينَ الخِطابِ العامِّ والخِطاباتِ الخَاصةِ هُناكَ أنواعُ الخِطابِ" (١٥٦).

الخِطاباتُ النَّسقيةُ؛ ثَقافيةُ النَّشأةِ، اِحتوتِ المُنتجاتِ الثَّقافيةِ، وجَعلتها تَتلبسُ النَّسقَ، بَلْ اِستخدَمتها لِتعزيزِ النَّسقيةِ الاجتماعيةِ، فَبَاتَ الأفرادُ المُؤمنونَ بِالنَّسقِ يُؤمنونَ بِخطابِهِ (١٥٧)؛ إيماناً مُطلقاً.

تَتوزعُ الخِطاباتُ النَّسقيةُ، وتَتخذُ هَيئتينِ؛ هَيئةً نَصِّيةً؛ تَتشكلُ مِن أبنيةٍ لُغويةٍ (١٥٨)، تَتمظْهرُ في الأقوالِ، والنُّصُوصِ، والمُستنداتِ، والأحكامِ، والأمثالِ، وكُلُّ ما لَهُ عَلاقةٌ بِاللغةِ المَنطوقةِ، أو المَكتوبةِ (١٥٩).

الهَيئةُ الأخرَى لِلخِطاباتِ النَّسقيةِ تَتكرسُ في الرُّموزِ، والعَلاماتِ غَيرِ اللغويةِ (١٦٠)، حَيثُ يُضفِي النَّسقُ المَشروعيةَ عَليها، مِن خِلالِ اِستخدامِها، وتِكرارِ الاستخدامِ لَها؛ إلى أنْ تَركُزَ في أذهانِ، وفِكرِ المُنتمينَ لِلنَّسقِ.

تَعملُ الخِطاباتُ النَّسقيةُ على الحَثِّ الدَّائِم، عَبرَ التَّمييزِ بَينَ ما هو مَرغوبٌ، وبَينَ ما هو غَيرُ مَرغوبٍ؛ بَينَ المُباحِ والمَمنوعِ، مُتَّخِذَةً وَسيلةَ اللغةِ أساساً في عَمليةِ إيصالِ رِسالتِها، كَما تَستعينُ بِالرُّموزِ غَيرِ اللغويةِ بَعدَ ذَلكَ، إنَّما الأساسُ الثَّابتُ المُستعملُ في إيصالِ الرِّسالةِ يَلتفُّ حَولَ اللغةِ بِأنماطِها المُختلفةِ.

اللغةُ فِكرٌ عَامٌ يَستوعِبُ جَميعَ الأنساقِ، بَينما الخِطابُ النَّسقيُّ تَوجيهٌ لِلغةِ وِفقَ الأسسِ الثَّابتةِ التي يَرتكِزُ عَليها النَّسقُ، فَحِينَ يَحُثُّنا الخِطابُ النَّسقيُّ على الالتزامِ بِتعاليمِهِ، نَجِدُ اللغةَ المُستعملةَ قَد أصابها نَوعٌ من "الانحِرافِ" (١٦١)؛ المُؤدِّي إلى خِدمةِ الخِطابِ النَّسقيِّ.

"الانحرافُ" اللغويُّ لَيسَ تَشوُّهاً في بنيةِ اللغةِ ذَاتِها، بَلْ اِتِّخَاذُ وَضعِياتٍ مُلائِمةٍ لِلخِطابِ النَّسقيِّ، فاللغةُ "لا يَتحكمُ فِيها مُباشرةً عَقلُ المُتكلمينَ بِها" (١٦٢)، بَلِ الخِطابُ النَّسقيُّ يَستحوذُ على اللغةِ، ويَعملُ على تَوجِيهِها (١٦٣) "حَسبَ شَرطِهِ النَّسقيِّ" (١٦٤)، ثُمَّ تَعملُ اللغةُ في وَضعِيتِها النَّسقيةِ على إمدَادِ الذِّهنِ بِمَعَاييرَ تَفريقيةٍ بَينَ مُستويينِ؛ مُستوى المَنعِ، ومُستوى الإباحةِ؛ المَرغوبِ، وغَيرُ المَرغوبِ.

العَمليةُ اللغويةُ النَّسقيةُ المُتمثِّلةُ فِي خِطابِ النَّسقِ، تُقدِّمُ الأفكارَ الجَاهزةَ (١٦٥) إلى ذِهنِ الفَردِ، وتُلبِسُها لِباساً مِن الشَّرعيةِ (١٦٦)؛ مِما يُساهِمُ فِي قُبُولِ الفَردِ لِهذهِ الأفكارِ، وتَبنِّيها، والإيمانِ بِها إيماناً مُطلقاً.

تَختَمِرُ الأفكارُ في الذِّهنِ البَشريِّ إلى أنْ تُصبِحَ ثَوابتَ "حَياتيةٍ" لا يَجوزُ إنكارُها، أو تَجاوُزُها، حَيثُ يَتِمُّ تَأصِيلُ الثَّوابتِ، وجَعلِها أُسُساً يَنبَنِي عَليها الفِعلُ اللغويُّ (١٦٧)، أو غَيرُ اللغويِّ.

حَركِيَّةُ الخِطابِ بَاديةٌ جِداً في المَقولاتِ اللغويةِ الصَّادِرَةِ عن النَّسقِ، فالأفرادُ يَتعاملونَ في ما بَينهم باللغةِ، ثُمَّ تَأتِيْ الرُّموزُ، والعَلاماتُ كَنمطٍ مُتقدِّمٍ من أنماطِ التَّعاملِ اللغويِّ؛ حَيثُ يَتمُّ تَرجمةُ الرُّموزِ، والعلاماتِ غَيرِ اللغويةِ إلى مُقابِلِها اللغويِّ.

يُسهِمُ الخِطابُ في بنيةِ (١٦٨) اللغةِ من خِلالِ الأسسِ التي سَبقَ ورَكَزَها في ذِهنِ الأفرادِ؛ المُتعاملينَ باللغةِ، فَحينَ يَنبنيْ خِطابٌ فَرعيٌّ على الأصلِ النَّسقيِّ، نَجِدُ اِستحواذَ الخِطابِ النَّسقيِّ عَليهِ، وتَوجيهِهِ؛ وِفقَ ما يَرتَضيهِ الأصلُ، ويُؤسسُ لَهُ.

نُمثِّلُ لِذلكَ بالخِطابِ الاجتماعيِّ، فَحِينَ يَتأسسُ يَعتمِدُ الخِطابَ الأصليَّ؛ خِطابَ الدِّينِ، ويَعملُ كَترجَمةٍ لِهذا الأصلِ، حَيثُ يُعدُّ فَرعاً، أو تَنويعاً لِلخِطابِ الدِّينيِّ، مَعَ تَمسُّكِهِ بِالثَّوابتِ المُقرَّرةِ سَلفاً؛ إذْ لا يَجوزُ خُروجُهُ عَليها لأيِّ سَببٍ كَانَ، وهو ما يُفرزُ وِحدةَ الخِطابِ، وتَنوُّعِ أشكالِهِ.

الأمرُ بِهذهِ الصُّورةِ أوجدَ مُعضِلةً في الخِطابِ الفَرعيِّ؛ الاجتِماعِيِّ ذَاتِهِ؛ تَمثَّلتْ في بَقاءِ بِناءِ الخِطابِ على هَيئةٍ وَاحِدةٍ، فَرُغمَ الانتقالِ من طَورِ الجَاهليةِ؛ المُتعصِّبةِ لِلقبيلةِ، إلى نَمطِ التَّعدُّدِ الأمَميِّ الإسلاميِّ المُختَلِفِ، وُصولاً إلى المَدنيةِ الحَديثةِ المُتطورةِ؛ حَيثُ تَختَفي الفَوارقُ القَبليَّةُ السَّابِقةُ، بَقِيَ الخِطابُ الاجتِماعِيُّ ثَابِتاً، دُونَ تَغييرٍ يُذكرُ.

اِمتِدادُ السَّنواتِ، وانقِضاءُ أكثرَ من ألفِ عَامٍ، رَسَّخَ الأسسَ النَّسقيةَ، وجَعلَ الخِطابَ مُتضَخِّماً؛ مُستَحوِذاً على اللغةِ؛ مَانعاً مُحاولاتِ التَّبديلِ، والتَّغييرِ في بنيةِ الخِطابِ الأصليِّ، فَبدلَ إنشاءِ خِطابٍ مُتوافقٍ مع العَصرِ الرَّاهنِ لِكُلِّ مَرحلةٍ؛ حَسبَ مُقتضياتِها، نَجِدُ اِجتِرارَ سِماتِ الخِطاباتِ السَّابِقةِ، والبِناءِ على مِنوالِها.

أفضَلُ، بَلْ أصدَقُ مَا يُمثِّلُ مُحاولاتِ اِجتِرارِ سِماتِ الخِطاباتِ السَّابقةِ؛ الإتيانُ بِها، وإلقَاؤها كَما هِي، كَأنَّ الزَّمنَ لَمْ يَتغيرْ بَعدَ مُرورِ ألفِ سَنةٍ، أو أكثرَ (١٦٩)، ولَعلَّ الشَّاهِدَ البَارزَ في هَذا المِضمارِ؛ مَا يُمارِسُهُ بَعضُ الفُضلاءِ من أئِمَّةِ المَساجدِ، والعُلماءِ في خُطَبِهم (١٧٠)؛ إذْ يَجلِبونَ النَّصَّ القَديمَ (١٧١) ، ثُمَّ يَقومونَ بِإلقائِهِ (١٧٢)، عِوضَ الاستِفادةِ مِنهُ، أو الإشارةِ إليهِ، مُتناسينَ ظُرُوفَ المَرحَلةِ الرَّاهنةِ، ومَا تَحتاجُ إليهِ من تَغييرٍ في بِنيةِ الخِطابِ الاجتماعيِّ.

لَيستْ جَميعُ النُّصوصِ السَّابقةِ مُتساويةٌ، بَل بَينها اِستثناءاتٌ، لَكنَّ الاستثناءاتِ التي نَتحدثُ عَنها قَليلةٌ جِداً إذا قِيستْ بِالمَجموعِ الكُلِّيِّ لِلنُّصوصِ التُراثيةِ الوارِدةِ.

الحَشدُ النُّصُوصِيُّ الهَائِلُ مِن المَروياتِ المُتوارَثَةِ؛ كَرَّسَ سُلطَةَ الخِطابِ (١٧٣) القَويَّةِ لُغوياً، واجتماعياً، مِما أنتجَ "تَناسُقاً" (١٧٤) فِي لُغةِ الخِطابِ، وارتقى بِها؛ لِتُحدِثَ أثرَها الفَاعِلَ دَاخلَ بِنيةِ الثَّقافةِ السَّائِدةِ.

فِي البدءِ، يَتَّخذُ الخِطابُ اللغةَ السَّائِدةَ مُنطَلقاً؛ لِتكريسِ مَفاهِيمِهِ، وثَوابِتِهِ، ثُمَّ يَنطَلِقُ، بَعدَ تَكريسِ الثَّوابتِ، إلى التَّأثيرِ في بِنيةِ الثَّقافةِ المُعاشةِ (١٧٥)؛ إذْ يَسِمُها بِسماتِهِ، ويُلقي عَليها مِن ظِلالِهِ، مُمارِساً مَنطِقَهُ القَويَّ؛ المُعتمِدَ على قُوةِ الحُجَّةِ، والبُرهانِ (١٧٦).

تَستَجيبُ الثَّقافةُ لِمَنطِقِ الخِطاب؛ المُعتمِدِ عَلى الحُجَّةِ القَويَّةِ، فَتبدأُ في صَوغِ نَفسِها بِما يُلائِمُ الخِطابَ، كَما تَعملُ على إعادةِ صِياغَةِ أفكارِ الأفرادِ؛ لِتَقبُّلِ الخِطابِ، والتَّرويجِ لَهُ.

يَستَحوذُ مَنطِقُ الخِطاب على الثَّقافةِ، إلى أنْ يُصبحَ مَنطِقُ الثَّقافةِ، ومَنطِقُ الخِطابِ شَيئاً وَاحِداً (١٧٧)، فَالثَّقافةُ أساساً تَكَونُ مَنطِقَةَ عَملِ الخِطابِ (١٧٨)، ومُمارسةً لِإجراءاتِهِ المُتنوعةِ.

في هَذهِ المَرحَلةِ المُتقدِّمةِ من سَيطَرةِ الخِطابِ على الثَّقافةِ، تَأخُذُ الأنظِمةُ الاتصاليةُ، والتَّواصُليةُ غَيرُ اللغويةِ؛ المُصاحِبةِ لِلغةِ الشِّفاهِيةِ، أو المَكتوبةِ في التَّشَكُّلِ وِفقَ مُعطَياتِ الخِطابِ، وإجراءاتِهِ؛ إذْ يَتعدَّلُ "مَرموزُها" المَعنويُّ، أو يَكتسبُ مَعنىً جَديداً؛ لِمُسايرةِ المَرحَلةِ الرَّاهِنةِ، والتَّغيُّراتِ الحَادثةِ فِيها.

الأنظِمةُ الاتصاليةُ، والتَّواصُليةُ غَيرُ اللغويةِ إنَّما هي تَفرُّعٌ لِلنظامِ اللغويِّ؛ فَنِظامُ "أضويةِ المُرورِ... مُشتقٌ من اللغةِ، ومن اِستعمالٍ مُحدَّدٍ ومُتخصِّصٍ لَها" (١٧٩).

"إنَّ اللغةَ هي نِظامٌ من العَلاماتِ المُعبِّرةِ عن أفكارٍ، وبِهذا ومُقارنةً بالأنظِمةِ التَّواصُليةِ الأخرى كَنِظامِ لُغةِ الصُّمِّ والبُكمِ أو نِظامِ الطُّقُوسِ والشَّعائِرِ أو الإشاراتِ العَسكَريَّةِ، وما إلى ذَلكَ تَبقى اللغةُ الأهمَّ من هَذهِ الأنظِمةِ" (١٨٠).

تَكتسبُ الرُّمُوزُ، والعَلاماتُ غَيرُ اللغويةِ مَعناها من اللغةِ؛ المُسيطَرِ عَليها من لَدُنِ الثَّقافةِ، والثَّقافةُ بِدورِها تَخضَعُ لِسُلطَةِ الخِطابِ.

سِلسِلةٌ من العَلاقاتِ المُتشابكة (١٨١)؛ تُؤدِّي إلى نَتيجةٍ وَاحِدةٍ؛ ثَابتةٍ؛ هي "مَركَزيةُ" الخِطابِ، وسَيطَرتِهِ سَيطَرةً تَامةً على مَفاصِلِ العَمليةِ اللغويةِ، فالفِعلُ اللغويُّ (١٨٢)؛ كَطَوافِ الحَاجِّ في مَكةَ حَولَ الكَعبةِ، يَتأسسُ عَبرَ قَواعِدَ أساسيةٍ، تَمَّ وَضعُها من قِبلِ السِّياقِ الإسلاميِّ، وكَرَّسها الخِطابُ بِاعتِبارها عَلامةً من العَلاماتِ الدَّالةِ عَليهِ.

" كُلُّ شَيءٍ تَقريباً في الحَياةِ اليَوميَّةِ يُمكنُ اِعتبارُهُ بِمثابةِ عَلامةٍ أو إشارةٍ مَادامَ يُمكنُ اِستخدامُهُ لِتوصيلِ رِسالةٍ مَا أو لِلدِّلالةِ على شَيءٍ مَا" (١٨٣).

الهوامش

١- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٨ / محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٤١ / رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة: د. منذر عياشي، الأعمال الكاملة ٣، مركز الإنماء الحضاري ١٩٩٤م، ص١٨-١٩

٢- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص٦٣

٣- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٢٧٧

٤- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٠٧

٥- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠٩م، ط٢، ص١٣

٦- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر ١٩٩٤م، ط٢، ص١٠: محمود علي مكي في إضاءة وحوار على نص كتاب د. نصر، ويهمنا هنا حديثه عن الحاكمية الإلهية بوصفها نقيضا لحاكمية البشر وأنها تشترك مع النص الديني، مما يحيل إلى التعارض مع الإسلام. قارن كلام محمود مكي بكلام عبدالصبور شاهين ص١٤، ثم شاهد سبب المشكلة في ص٦٨ وما بعدها، وص٨٥: الأمويون هم من طرحوا مفهوم "الحاكمية"، وص١٠١-١١٧: تفصيل وتوسع في الحديث حول الحاكمية الدينية

٧- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٥٠

٨- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٢٣٢-٢٣٣: ينفي فوكو أن تكون السلطة معادلة للدولة، وإن كان لا ينفي أن تكون الدولة معطى أساسي في مفهوم السلطة

٩- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٢٣٩ / حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص٣٨

١٠- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٤٣

١١- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٥م، ط٢، ص٩

١٢- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٣٥

١٣- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١١٨: ولا خلاف في أن تاريخية اللغة تتضمن اجتماعيتها، الأمر الذي يؤكد أن للمفاهيم بعدها الاجتماعي الذي يؤدي إهداره إلى إهدار دلالات النصوص ذاتها

١٤- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤

١٥- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤

١٦- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٧٢

١٧- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٨٥: عملية تزييف الوعي التي ظل النظام الأموي يمارسها بحكم افتقاده إلى الشرعية

١٨- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص١٧

١٩- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ٢٠٠٧م، ص١٤٤

٢٠- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص١٧ / فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٥

٢١- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ص١٤٤

٢٢- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ص١٤٢

٢٣-ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٤٣

٢٤-ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٠٧

٢٥-الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ص٦٣

٢٦-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص٣١

٢٧-رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص٥٩:كانت المهمة الطبيعية للسانيات هي إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم "التواصل" في العلوم الاجتماعية. وحسب صياغة سايبر "إن كل نموذج ثقافي، وكل سلوك اجتماعي، يتضمن تواصلاً سواء أكان بمعنى صريح أو ضمني"

٢٨-عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٢م، ص٨٠: إن نظام الثقافة يماثل نظام اللغة... جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية يمكن أن تعتبر كلغات، أي كأنساق من العلامات للتواصل

٢٩-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٤

٣٠-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص٣٧

٣١-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٧

٣٢-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٤٣

٣٣-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٤٥

٣٤-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٣٩

٣٥-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص١٩

٣٦-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٥

٣٧-لانسون ومابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مندور، بيروت ١٩٨٣م، ط٢، ص١٤٤

٣٨-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٤٤

٣٩-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٧

٤٠-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٧

٤١-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٨

٤٢-الخصائص للثعالبي ج١ ص٣٣

٤٣-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص٩

٤٤-أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة المستنصرية، بغداد ١٩٨٥م، ص٢٣٨

٤٥-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م، ص٨٨

٤٦-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٥٤

٤٧-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٩٢

٤٨-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص١٢٦

٤٩-صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، د.ت، ص١٨٣ / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٤٨

٥٠-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص١٣١

٥١-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٦

٥٢-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٧-٢٨

٥٣-الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، الدار العربية للعلوم – ناشرون / منشورات الاختلاف، الجزائر ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص٢٨

٥٤-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٥١
٥٥-الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص٢٨
٥٦-آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان ٢٠٠٣م، ص٢٠٧
٥٧-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٩ وما بعدها / محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٠١ وما بعدها
٥٨-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٠١
٥٩-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٩
٦٠-يمنى العيد، في معرفة النص، بيروت ١٩٨٥م، ط٣، ص٣١
٦١-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٩
٦٢-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٣٠١-٣٠٢
٦٣-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٩-١٣٠
٦٤-فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص٢٦٨
٦٥-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤
٦٦-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤
٦٧-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤
٦٨-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص٢٤
٦٩-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٢٤
٧٠-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٢٤
٧١-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٢٦
٧٢-أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٣٤
٧٣-مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة العدد: ٢١٨، الكويت ١٩٩٧م، ص٣٤٧
٧٤-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٨٩
٧٥-فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص٢٦٧
٧٦-فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص٢٦٨
٧٧-عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص٨٣: ستروس: الثقافة هي...كل ما نستمده ونكتسبه من التقاليد الخارجية، أي من التربية.
٧٨-ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٠٦
٧٩-ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٠٧
٨٠-طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص١١
٨١-طه ندا، الأدب المقارن، ص١١
٨٢-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٣٩
٨٣-الطلحي، دلالة السياق، ص٤١
٨٤-طه ندا، الأدب المقارن، ص١٢
٨٥-طه ندا، الأدب المقارن، ص١٣

٨٦-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٩٠

٨٧-طه ندا، الأدب المقارن، ص١٦

٨٨-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٥٧

٨٩-عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٧١

٩٠-محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٠م، ص٧٦

٩١-أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٩٥م، ص١٨٤

٩٢-أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٢

٩٣-الطلحي، دلالة السياق، ص١٥٥

٩٤-باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٣٣: صورة السياق... مثل سلسلة لا نهائية من التضمنات

٩٥-فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص٢٢٠-٢٢١ / الطلحي، دلالة السياق، ص٤١

٩٦-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص٣٤٧

٩٧-أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص٤٦

٩٨-كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي – ليبيا ١٩٩٧م، ص٧-٨ / أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٨

٩٩-منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٨٨

١٠٠- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٧٩

١٠١- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٠

١٠٢- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٠

١٠٣- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٠

١٠٤- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٨١: الكتاب بصفته شيئا ماديا ملموسا

١٠٥- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٦٤، الكويت ١٩٩٢م، ص٢٢٥

١٠٦- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٢٠: وقد يضيف البعض وصفاً للنصوص المحظور فيها الاجتهاد بأنها النصوص القطعية في ثبوتها وفي دلالتها

١٠٧- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د.ت، ص٥٤

١٠٨- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، سلسلة كتاب الرياض، العدد ٩٣ – أغسطس ٢٠٠١م، يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، ص١١٢ / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص١٠، وص٢٣

١٠٩- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٧١

١١٠- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٢٩٧

١١١- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص٢٩٨

١١٢- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٠

١١٣- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص١٨: أركون: "ونقصد بالإسلام هنا ذلك التصور المضخم والأقنومي الشائع عنه في المجتمعات الإسلامية" / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٧٢: كلمة "إسلام" التي

أصبحت كالجراب تتسع لكل شيء ويضعون فيها كل شيء / نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٣٩: ومنه اختزال الماركسية في الإلحاد والمادية، وص٨٢: اختزال "العلمانية" الأوروبية في صفة واحدة هي مناهضة الدين، وص٨٣: اختزال "الفرويدية" في "وحل الجنس"

١١٤- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٣٤

١١٥- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ص٦٤-٦٥

١١٦- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٩٩

١١٧- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٣٢ وما بعدها

١١٨- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص٣٨

١١٩- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص٣٨

١٢٠- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٢٣٧ وما بعدها

١٢١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٢٣٩

١٢٢- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ص٦٥-٦٦

١٢٣- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٩-١٠

١٢٤- خليل الموسى، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٠م، آفاق ثقافية، العدد ٨٩، ص٩

١٢٥- صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ١٩٩٦م، ط١، ص١١٧: حينما يتحدث عن الواقع المصري في قبالة الأفكار المستوردة / محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٩-١٠

١٢٦- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص١٤٠: وأما ما يخالف المذهب فيعتبر بدعة / نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٣٨: الإلحاد أو المادية أو الصهيونية، وص٤٠: تساوي الإلحاد

١٢٧- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٨٨

١٢٨- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص٨٢: الظواهر الاجتماعية والثقافية والظواهر اللغوية... أنساق ومنظومات رمزية للتواصل

١٢٩- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٥٧: رأي سوسير / فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فالح العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم (١١٥)، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود، الرياض – السعودية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص٨: انظر تعريف كالماير للنص

١٣٠- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٨٠ وما بعدها / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٩٣ وما بعدها

١٣١- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص٢٥٢: والتعريف لفوكو

١٣٢- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص٢٥٢

١٣٣- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص٢٤

١٣٤- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م، ص١١

١٣٥- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، مطبعة المقداد – غزة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص٢٨ / محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان ١٩٩٤م، ط٥، ص١٠

١٣٦- علي الفرج، تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)، دار المصطفى لإحياء التراث، قم – إيران ١٣٧٩ هـ.ق، ص٣٥: الأسلوبية اللسانية: "وهي تعنى بالدراسة العلمية لقضايا التعبير الكلامي على أساس أنه عملية تواصلية مكونة من مرسل ومستقبل وخطاب وقناة الخطاب (الأسلوب)"

١٣٧- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، ص٣١

١٣٨- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ص١٥٩

١٣٩- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٩٠

١٤٠- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٥٦

١٤١- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص١٦٠-١٦١

١٤٢- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٥٩: لأن الخطاب يربط بين أجزائه

١٤٣- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص١١٦: كيف تحدث مختلف الصراعات بين الطبقات والأمم والجماعات اللسانية والعرقية من أجل امتلاك الخطاب؟

١٤٤- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص٢٥٧

١٤٥- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٤٦ وما بعدها: الحديث حول اليسار الإسلامي وتشكله

١٤٦- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٢٥ وما بعدها: المطالبة بإهدار دم د. نصر حامد أبو زيد؛ كمثال، وص٧٤: الفتوى بإهدار دم سلمان رشدي، كمثال مقارب

١٤٧- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٨

١٤٨- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٧٢

١٤٩- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص١٣٢: فوكو: نعني بالنسق مجموعة من العلاقات، تستمر وتتحول في استقلال عن الأشياء التي تربط فيما بينها

١٥٠- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٩٠

١٥١- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٦٨

١٥٢- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٩٩

١٥٣- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص١٣٨: النسق الديني: وهو مشكل من مجمل المبادئ اللاهوتية، والعقائد الإيمانية، والطقوس والشعائر التي تتحكم بالفكر، وبالتالي بالخطاب، وتوجهه في وجهات معينة

١٥٤- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص٢٢٨

١٥٥- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، ص٥٣

١٥٦- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، ص٤٨

١٥٧- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٢٤

١٥٨- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، ص١٣

١٥٩- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص١٢٩: رأي دي سوسير

١٦٠- الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، ص٣٠

١٦١- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١٢٩: ثم استأثرت إحدى الفرق باسم "أهل السنة والجماعة" واحتكرته لنفسها بتأييد من سلطة الدولة بعد القضاء على الاعتزال، وأصبحت هي الحكم والفيصل في قبول المرويات أو رفضها، بل واكتسبت بحكم تأييدها للسلطة السياسية والتمتع بحمايتها سلطة مرجعية في كل ما يتعلق بشئون الدين والعقيدة

١٦٢- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ص٢٥٠

١٦٣- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٨١

١٦٤- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ص١١٨

١٦٥- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٣٤

١٦٦- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٣٦: العقل الغيبي

١٦٧- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ص٤٤: يعبر عنها أركون بالتاريخ

١٦٨- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص٧٣: علاقة ثابتة بين مجموعة من العناصر

١٦٩- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص١٢: يجد امتداد الثقافة العربية يعود إلى أكثر من ألفي سنة

١٧٠- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ص٤٦

١٧١- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١١٨: ولا يعني الإلحاح على تاريخية النصوص أدنى إشارة إلى عدم قدرتها على إنتاج دلالتها أو عجزها عن مخاطبة عصور تالية أو مجتمعات أخرى، فالقراءة التي تتم في زمن تالٍ في مجتمع آخر تقوم على آليتين متكاملتين: الإخفاء والكشف، تخفي ما ليس جوهريا بالنسبة لها – وهو ما يشير عادة إلى الزمان والمكان إشارة لا تقبل التأويل – وتكشف عما هو جوهري بالتأويل، وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي – جوهرها الذي تكشفه في النص

١٧٢- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص١٣٧: كل ثقافة في نظر فوكو إلا ولها نصوص أساسية تقوم بقراءتها وتأويلها وإعادة قراءتها، سواء تعلق الأمر بنصوص قانونية أو دينية أو أدبية، نصوص أولية يتم التعليق عليها دائما

١٧٣- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٨١: الحديث عن الخطاب الشيوعي / الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص١٣٢، وص١٣٦

١٧٤- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص١١٣

١٧٥- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص١٣١-١٣٢

١٧٦- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص٤٢، وص١٢٧

١٧٧- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٨٤: للمقارنة: يتجاوز الخطاب الديني موقف تحويل أقوال السلف واجتهاداتهم إلى "نصوص" لا تقبل النقاش، إلى التوحيد بين تلك الاجتهادات وبين الدين في ذاته

١٧٨- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص٢٠٣-٢٠٤

١٧٩- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ص٦

١٨٠- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٥٧: رأي سوسير

١٨١- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، ص٨٨

١٨٢- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٢٢-١٢٣

١٨٣- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، ص١٨٨

نِهَايَةُ المَطَافِ

الكِتَابُ يَأخُذُنَا فِيْ رِحْلَةٍ زَمَنِيَّةٍ، اِسْتَغْرَقَتْ مَا يَزِيْدُ عَلَى أَلْفِ عَامٍ، بَدَأتْ بِالتَّغْرِيْدِ فِيْ القَوَامِيْسِ وَالمَعَجمِ؛ حَيْثُ الذِّكْرَيَاتُ الأُوْلَى لِلكَلِمَاتِ، اِنْطَلَقَتْ الرِّحْلَةُ مِنْ بَطْنِ الخِزَانَةِ المُعْجَمِيَّةِ؛ هَادِفَةً إِلَى جَمْعِ أَكْبَرِ كَمِّيَّةٍ مُمْكِنَةٍ مِنْ الدِّلَالَاتِ، لِتَأسِيْسِ الطَّرِيْقِ الَّذِيْ سَوْفَ تَعْبُرُ مِنْ خِلَالِهِ.

اِعْتَمَدَ جَمْعُ الدِّلَالَاتِ عَلَى الغَوْصِ فِيْ المَعَاجِمِ وَالقَوَامِيْسِ، وَتَمَّ الرُّجُوْعُ إِلَى الكَثِيْرِ مِنْهَا، فَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ عَدَدٌ ضَخْمٌ مِنْ الدِّلَالَاتِ، بَادَرْنَا إِلَى المُقَارَنَةِ وَالمُوَازَنَةِ بَيْنَهَا، ثُمَّ تَرْتِيْبِهَا، وَإِبْقَاءِ المُشْتَرَكِ مِنْهَا، كَمَا تَمَّ الإِبْقَاءُ عَلَى الدِّلَالَاتِ الَّتِيْ مَيَّزَتْ كَلِمَتَيِّ "السِّيَاقِ" وَ "النَّسَقِ".

اُخْتُصَّتْ كَلِمَةُ "السِّيَاقِ" فِيْ القَوَامِيْسِ بِوُجُوْدِ إِرْثٍ ضَخْمٍ مِنْ الدِّلَالَاتِ، قَدْ تَبْدُو لِلوَهْلَةِ الأُوْلَى تَرَفَاً قَامُوْسِيَّاً، إِنَّمَا النَّظْرَةُ الفَاحِصَةِ تُؤَكِّدُ أَنْ الدِّلَالَاتِ المُتَنَوِّعَةِ، لَيْسَتْ إِلاَّ تَغَيُّرَاً أَصَابَ الكَلِمَةَ فِيْ تَارِيْخِهَا الطَّوِيْلِ، فَكَلِمَةُ "السِّيَاقِ" وَتَفَرُّعَاتِهَا ظَلَّتْ حَاضِرَةً فِيْ الاسْتِعْمَالِ اليَوْمِيِّ، مِثْلَمَا ظَلَّتْ حَاضِرَةً فِيْ الاسْتِعْمَالِ الثَّقَافِيِّ، وَالمُصْطَلَحِيِّ.

كَثْرَةُ الدِّلَالَاتِ اِحْتَاجَتْ تَنْظِيْمَاً وَتَرْتِيْبَاً، فَحِيْنَمَا نُشَاهِدُ مُعْجَمَ "السِّيَاقِ" يَتَبَادَرُ إِلَى أَذْهَانِنَا؛ شُمُوْلِيَّتُهَا؛ إِذْ إِنَّهَا اِرْتَبَطَتْ بِالفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ، مَا قَبْلَ الوِلَادَةِ وَمَا بَعْدَ المَوْتِ، إِزَاءَ هَذِهِ الشُّمُوْلِيَّةِ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ البَحْثِ عَنْ سَبِيْلٍ، يُخْرِجُ مِنْ التَّشَتُّتِ وَالتَّشَظِّي إِلَى التَّرْتِيْبِ وَالتَّنْسِيْقِ.

بِسَبَبِ الحَاجَةِ إِلَى التَّنْسِيْقِ فِيْ مُعْجَمِ "السِّيَاقِ" بَرزَتْ الكَلِمَةُ الأُخْرَى؛ كَلِمَةُ "النَّسَقِ" بدِلَالَاتِهَا التَّنْسِيْقِيَّةِ وَالتَّرْتِيْبِيَّةِ، فَكَانَ مِنْ الوَاجِبِ البَحْثُ فِيْهَا، وَاسْتِقْصَاءِ دِلَالَاتِهَا، مِثْلَمَا حَدَثَ مَعَ كَلِمَةِ "السِّيَاقِ"، وَهُوَ مَا تَمَّ فِيْ الفَصْلِ المُوَالِيِّ لِفَصْلِ "السِّيَاقِ".

المُلَاحَظُ عَلَى كَلِمَةِ "النَّسَقِ" قِلَّةُ القَوَامِيْسِ الَّتِيْ بَحَثَتْ فِيْ هَذِهِ المُفْرَدَةِ، إِضَافَةً إِلَى قِلَّةِ الدِّلَالَاتِ الَّتِيْ أُعْطِيَتْ لَهَا، فَكَأَنَّهَا تَعِيْشُ عَلَى هَامِشِ المُعْجَمِ لَا فِيْ صُلْبِهِ، وَكَأَنَّ كَلِمَةَ "السِّيَاقِ" اِسْتَحْوَذَتْ عَلَى جَمِيْعِ الدِّلَالَاتِ، وَتَرَكَتْ لِكَلِمَةِ "النَّسَقِ" مُجَرَّدَ تَنْظِيْمِ الفَوْضَى المُعْجَمِيَّةِ، المُتَعَلِّقَةِ بدِلَالَاتِ كَلِمَةِ كَـــ "السِّيَاقِ".

أَثْمَرَتْ المُقَارَبَةُ القَامُوْسِيَّةُ بَيْنَ كَلِمَتَيِّ "السِّيَاقِ" وَ "النَّسَقِ" فِيْ تَنْظِيْمِ الدِّلَالَاتِ الوَارِدَةِ؛ حَيْثُ أَصْبَحَ لِكُلِّ دِلَالَةِ اِرْتِبَاطٌ مُعَيَّنٌ بنَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الحَيَاةِ، عِوَضَ الفَوْضَى السَّائِدَةِ سَابِقَاً، عَلَى مُسْتَوَى الدِّلَالَةِ القَامُوْسِيَّةِ.

اِنْطِلَاقَاً مِنْ المُعْجَمِ جَاءَتْ مُقَارَبَتُنَا لِلُّغَةِ، فَتَمَّ اِتِّخَاذُ "السِّيَاقِ" هَادِيَاً وَمُرْشِدَاً، وَاِتِّخَاذُ "النَّسَقِ" مُنَظِّمَاً وَمُرَتِّبَاً، وَجَاءَ الحَدِيْثُ حَوْلَ اللُّغَةِ مُسْتَعِيْنَاً بالأَلْسُنِيَّةِ وَدُرُوْسِهَا، فَنُقْطَةُ الانْطِلَاقِ دَارَتْ حَاوْلَ رَمْزِيَّةِ اللُّغَةِ، وَاِعْتِبَارِهَا كِيْانَاً قَائِمَاً، اِحْتَوَى التُّرَاثَ ، وَعَمِلَ عَلَى تَنْظِيْمِهِ وَتَرْتِيْبِهِ؛ مِمَّا أَفْرَزَ أَنْسَاقَاً فِيْ دَاخِلِهِ.

لَيْسَتْ اللُّغَةُ رَمْزِيَّاً إِلاَّ اِمْتِدَادٌ لِمُصْطَلَحِ "السِّيَاقِ"، فَالمُشَابَهَةُ بَيْنَهُمَا؛ مُشَابَهَةٌ فِيْ التَّكْوِيْنِ وَالإِفْرَازَاتِ، فَالسِّيَاقُ اِحْتَوَى أَنْسَاقَاً فِيْ دَاخِلِهِ، وَكَذَلِكَ اللُّغَةُ اِحْتَوَتْ أَنْسَاقَاً فِيْ دَاخِلِهَا، رُغْمَ أَنَّ هَذِهِ الأَنْسَاقَ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا، إِلاَّ أَنَّهَا تَبْقَى وَاقِعَاً وَحَقِيْقَةً مَاثِلَةً لِلدَّارِسِ الأَلْسُنِيِّ.

تَعَدُّدُ الأَنْسَاقِ اللُّغَوِيَّةِ، دَفَعَ البَحْثَ إِلَى مُقَارَبَةِ اللُّغَةِ بِشَكْلِهَا المُتَشَظِّي، بُغْيَةَ إِلْقَاءِ الضَّوْءِ عَلَى أَبْرَزِ الأَنْسَاقِ الفَاعِلَةِ؛ حَيْثُ بَرَزَ النَّسَقُ الدِّيْنِيُّ كَأَهَمِّ نَسَقٍ تَوَفَّرَتْ اللُّغَةُ عَلَيْهِ، مِنْ حَيْثُ مُمَارَسَتِهِ دَوْرَاً فَاعِلَاً فِيْ بَقِيَّةِ الأَنْسَاقِ.

النَّسَقُ الدِّيْنِيُّ أخَذَ البَحْثَ نَحْوَ دَائِرَةِ اللُّغَةِ، فَتَمَّ التَّوَجُّهُ إِلَى الطَّبِيْعَةِ الثَّقَافِيَّةِ الفَاعِلَةِ لِلُّغَةِ؛ حَيْثُ الانْتِقَالُ مِنْ الوِحْدَةِ الكُلِّيَّةِ لِلكِيَانِ، إِلَى تَصْوِيْرِهِ ثَقَافَةً وَفِكْرَاً وَمُمَارَسَةً، بَلْ كِيَانَاً اِسْتِحْوَاذِيَّاً؛ يُمْلِيْ عَلَى الفَرْدِ تَعَالِيْمَهُ وَيُنَظِّمُ لِلمُجْتَمَعِ رُؤْيَتَهُ.

الكِيَانُ الثَّقَافِيُّ يُعَدُّ الشَّكْلَ الأرْقَى لِلُّغَةِ، فَجَمِيْعُ الأنْسَاقِ مُتَوَاجِدَةٌ، بِمَا فِيْ ذَلِكَ الأنْسَاقُ المُضَادَّةُ لِمَا هُوَ سَائِدٌ، أوْ تِلْكَ الأنْسَاقُ النَّاشِئَةُ عَنْ أنْسَاقٍ مَوْجُوْدَةٍ، فَفِيْ دَاخِلِ الكِيَانِ الثَّقَافِيِّ تَتَفَاعَلُ الأنْسَاقُ وَتَتَحَاوَرُ، وَتَعْمَلُ عَلَى إِنْتَاجِ خِطَابَاتِهَا المُسْتَقِلَّةِ، سَوَاءٌ تَوَافَقَتْ الخِطَابَاتُ مَعَ الخِطَابِ السَّائِدِ أوْ تَعَارَضَتْ.

يَسُوْدُ اللُّغَةَ خِطَابَاً سُلْطَوِيَّاً مُلْزِمَاً لِلْفَرْدِ وَلِلآخَرِ، تُمَارِسُ فِيْهِ رَقَابَةٌ عَلَى كُلِّ السُّلُوْكِيَّاتِ الصَّادِرَةِ، كَمَا يَعْمَلُ عَلَى الحَثِّ الدَّائِمِ؛ إِمَّا تَمَسُّكَاً أوْ رَفْضَاً، إِذْ يُمَارِسُ سُلْطَتَهُ فِيْ الحَثِّ عَلَى المَرْغُوْبِ، أوْ رَفْضِ غَيْرِ المَرْغُوْبِ.

لَا بُدَّ لِلُّغَةِ مِنْ خِطَابٍ، فَالخِطَابُ نَاتِجٌ مِنْ نَوَاتِجِ الأنْسَاقِ المُتَحَاوِرَةِ، فَيَسْتَمِدُّ شَرْعِيَّتَهُ مِنْ شَرْعِيَّةِ النَّسَقِ فِيْ دَاخِلِهِ، وَكُلَّمَا زَادَ اِرْتِبَاطُهُ بِالأصْلِ الدِّيْنِيِّ، زَادَتْ شَرْعِيَّتُهُ عِنْدَ المُنْتَمِيْنَ النَّسَقِيِّيْنَ.

بِهَذَا نَكُوْنُ قَدْ وَصَلْنَا إِلَى نِهَايَةِ رِحْلَتِنَا فِيْ الكِتَابِ، وَأسْألُ اللهَ أنْ تَكُوْنَ رِحْلَةً مُمْتِعَةً، اِسْتَفَادَ القَارِئُ مِنْهَا مِثْلَمَا اِسْتَفَادَ الكَاتِبُ، فَكُلُّ نَصٍّ خَرَجَ مِنْ صَاحِبِهِ، أصْبَحَ مُلْكَاً لِلقَارِئِ، وَمُلْكَاً لِلذِّهْنِيَّةِ وَاللُّغَةِ الَّتِيْ أنْتَجَتْهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أنْ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

قائمة المراجع مرتبة حسب ورودها في الكتاب

١-ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في علم اللغة، بإشراف الدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

٢-باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري – حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس ٢٠٠٨م.

٣-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، د.ت.

٤-محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٥-سعد بن مقبل بن عيسى العنزي، دلالة السياق عند الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية تخصص أصول الفقه، بإشراف الأستاذ الدكتور/ حمزة بن حسين الفعر، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الأصول، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ.

٦-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م، ط٥

٧-مجمع الأمثال للميداني،

٨-هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد – الأردن ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

٩-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق – سوريا ٢٠٠٠م، ط٢.

١٠- فايز الداية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط٢.

١١- لويس المعلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - لبنان، ط١٩.

١٢- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: مصطفى حجازي، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٣- أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٧م.

١٤- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٩٠م، ط٤.

١٥- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١.

١٦- صالح الصالح وأمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة، د.ت، د.ن.

١٧- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د.ت.

١٨- أبي عبد الرحمن الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم – إيران ١٤٠١هـ، ط٢.

١٩- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ط١.

٢٠- جماعة من المختصين بإشراف أ.د. أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت – لبنان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ط١.

٢١- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول – تركيا، مجمع اللغة العربية، د.ت.

٢٢- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٢٣- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م.

٢٤- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تحقيق: مصطفى حجازي ود. محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية (مصر)، القاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ط١.

٢٥- المحيط نت (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: أديب اللجمي وشحادة الخوري والبشير بن سلامة وعبد اللطيف عبيد ونبيلة الرزاز، وراجعه ونسقه: أديب اللجمي ونبيلة الرزاز، موقع عجيب، قسم المعاجم).

٢٦- بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م.

٢٧- جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٩٢م، ط٧.

٢٨- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٩م.

٢٩- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله للعربية: د. محمد سليم النعيمي، سلسلة المعاجم والفهارس (٣٢)، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م.

٣٠- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق ثقافية، بغداد ١٩٨٩م.

٣١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ط١.

٣٢- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٤م، ط٢.

٣٣- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، بغداد ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ط١.

٣٤- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٩م.

٣٥- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٢٠٠٠م.

٣٦- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط٨.

٣٧- رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م.

٣٨- جان بريفو وجان فرانسوا سابليرول، المولد (دراسة في بناء الألفاظ)،ترجمة: خالد جهيمة، مراجعة: د. حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠م، ط١.

٣٩- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية (٣)، بغداد ١٩٨٥م.

٤٠- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء – المغرب ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ط١.

٤١- معجم الغني (معجم إلكتروني على صفحات الويب، بتأليف: د. عبد الغني أبو العزم، موقع عجيب، قسم المعاجم).

٤٢- رولان بارت، نقد وحقيقة، ترجمة: د. منذر عياشي، الأعمال الكاملة ٣، مركز الإنماء الحضاري ١٩٩٤م.

٤٣- عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ٢٠٠٩م، ط٢.

٤٤- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، مصر ١٩٩٤م، ط٢.

٤٥- محمد أركون، القرآن (من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٥م، ط٢.

٤٦- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ٢٠٠٧م.

٤٧- عبدالرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٢م.

٤٨- لانسون ومابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة: د. محمد مندور، بيروت ١٩٨٣م، ط٢.

٤٩- الخصائص للثعالبي

٥٠- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، حقوق الطبع والنشر محفوظة للجامعة المستنصرية، بغداد ١٩٨٥م.

٥١- منقور عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

٥٢- صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، د.ت.

٥٣- الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، الدار العربية للعلوم – ناشرون / منشورات الاختلاف، الجزائر ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥٤- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان ٢٠٠٣م.

٥٥- يمنى العيد، في معرفة النص، بيروت ١٩٨٥م، ط٣.

٥٦- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة العدد: ٢١٨، الكويت ١٩٩٧م.

٥٧- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٨- محمد نورالدين أفاية، الغرب المتخيل (صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٠م.

٥٩- أحمد أبو زيد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٩٥م.

٦٠- كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي – ليبيا ١٩٩٧م.

٦١- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النَّص، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٦٤، الكويت ١٩٩٢م.

٦٢- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم؟)، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د.ت.

٦٣- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، سلسلة كتاب الرياض، العدد ٩٣ – أغسطس ٢٠٠١م، يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

٦٤- خليل الموسى، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٠م، آفاق ثقافية، العدد ٨٩.

٦٥- صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ١٩٩٦م، ط١.

٦٦- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فالح العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم (١١٥)، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود، الرياض – السعودية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦٧- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م.

٦٨- محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش (دراسة أسلوبية)، مطبعة المقداد – غزة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٩- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان ١٩٩٤م، ط٥.

٧٠- علي الفرج، تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح)، دار المصطفى لإحياء التراث، قم – إيران ١٣٧٩ هـ.ق.

الفهرس